الأثر المشهور عن الإمام مالك رحمه الله

في صفة الاستواء

(دراسة تحليلية)

د. عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر

الأستاذ في كلية الدعوة وأصول الدين بالجامعة الإسلامية



الأثر المشهور عن الإمام مالك رحمه الله

في صفة الاستواء
"دراسة تحليلية"

إعداد:

د. عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر

الأستاذ في كلية الدعوة وأصول الدين بالجامعة الإسلامية



بسم الله الرحمن الرحيم

الطبعة الاولى
١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م



المملكة العربية السعودية - ص.ب ٦٤٣٧٧ الرياض ١١٣٥٦
هاتف/ ٤٢٨٥٣٩٠ - فاكس/ ٢٦٧٢٥٥٨



تحميل كتب و رسائل علمية
قناة عامة
معلومات
t.me/tahmilkutubwarosailililmiyah
رابط الدعوة
الإشعارات
معطّلة

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

إنَّ الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إلـٰه إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم.

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾.

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾ ﴾.

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَـٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾.

أما بعد، فلا ريب في عِظم فضل وكبر شرف العلم بأسماء الله وصفاته الواردة في كتابه وسنة رسوله ﷺ وفهمها فهماً صحيحاً سليماً بعيداً عن تحريفات المحرّفين وتأويلات الجاهلين؛ إذ إنَّ شرف العلم تابعٌ لشرف معلومه، وما من ريب أنَّ أجلَّ معلوم وأعظمه وأكبره هو الله الذي لا إلـٰه إلاّ هو رب العالمين، وقيّوم السموات والأرضين، الملك الحقّ المبين،

الموصوف بالكمال كلّه، المنزَّه عن كلِّ عيب ونقص، وعن كلِّ تمثيل وتشبيه في كماله ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبِّي عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ وَإِلَيۡهِ أُنِيبُ ۝١٠ فَاطِرُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ جَعَلَ لَكُم مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ أَزۡوَٰجٗا وَمِنَ ٱلۡأَنۡعَٰمِ أَزۡوَٰجٗا يَذۡرَؤُكُمۡ فِيهِۚ لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ۝١١ ﴾ [الشورى : ١٠، ١١] .

ولا ريب أنَّ العلم بالله تعالى وبأسمائه وصفاته وأفعاله أجَلُّ العلوم وأفضلُها وأشرفُها، ونسبة ذلك إلى سائر العلوم كنسبة معلومه إلى سائر المعلومات، والعلم به ـ سبحانه ـ هو أصل كلِّ علم، وهو أصل علم العبد بسعادته وكماله ومصالح دنياه وآخرته، والجهل به مستلزم للجهل بنفسه ومصالحها وكمالها وما تزكو به، فالعلم به ـ سبحانه ـ عنوان سعادة العبد في الدنيا والآخرة، والجهل به أصل شقاوته في الدنيا والآخرة، ومن عرف الله عرف ما سواه، ومن جهل ربَّه فهو لما سواه أجهل، قال الله تعالى : ﴿ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ نَسُواْ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمۡ أَنفُسَهُمۡۚ ﴾ [الحشر : ١٩]، وقد دلّت هذه الآية على معنى شريف عظيم، وهو أنَّ من نسيَ ربَّه أنساه ذاته ونفسَه فلم يعرف حقيقته ولا مصالحه، بل نسي ما به صلاحه وفلاحه في معاشه ومعاده فصار معطَّلاً مهملاً [١] .

---

(١) انظر : مفتاح دار السعادة لابن القيّم (ص : ٨٦) .

ولهذا فإنَّ العناية بفهم هذا العلم وضبطه وعدم الغلط فيه أمر متأكّد على كلِّ مسلم، وقد كان أئمَة المسلمين، الصحابة ومن تبعهم بإحسان على نهجٍ واحدٍ في هذا العلم وعلى طريقة واحدة، ليس بينهم في ذلك نزاع ولا خلاف، « بل كلُّهم [بحمد الله] على إثبات ما نطق به الكتاب والسنة كلمةً واحدةً من أوّلهم إلى آخرهم، لم يسوموها تأويلاً، ولم يحرّفوها عن موضعها تبديلاً، ولم يُبدوا لشيء منها إبطالاً، ولا ضربوا لها أمثالاً، ولم يدفعوا في صدورها وأعجازها، ولم يقل أحدٌ منهم يجب صرفها عن حقائقها وحملها على مجازها، بل تلقّوها بالقبول والتسليم، وقابلوها بالإيمان والتعظيم، وجعلوا الأمر فيها كلّها أمراً واحداً، وأجرَوْها على سنن واحد، ولم يفعلوا كما فعل أهل الأهواء والبدع حيث جعلوا القرآن عضين، وأقرّوا ببعضها وأنكروا بعضها من غير فُرقان مبين »[١].

بل زاد المعطِّلة على ذلك فجعلوا جحد الصفات وتعطيل الربّ عنها توحيداً، وجعلوا إثباتها لله تشبيهاً وتجسيماً وتركيباً، فسمّوا الباطل باسم الحق ترغيباً فيه، وزخرفاً ينفقونه به، وسمّوا الحقَّ باسم الباطل تنفيراً عنه، والناس أكثرهم مع ظاهر السكّة، ليس لهم نقد النقّاد[٢].

---

(١) إعلام الموقعين (١/ ٤٩) .

(٢) انظر : مدارج السالكين لابن القيم (١/ ٢٦، ٢٧) .

ولا يأمن جانب الغلط في هذا الباب الخطير من لا يتعرّف على نهج السلف ويسلك طريقتهم، فهي طريقة سالمة مأمونة مشتملة على العلم والحكمة، وكلامهم في التوحيد وغيره قليلٌ كثيرُ البركةِ[١]، فهم لا يتكلّفون، بل يعظّمون النصوص، ويعرفون لها حرمتها، ويقفون عندها، ولا يتجاوزونها برأي أو عقل أو وَجْدٍ أو غير ذلك .

فهم بحقٍّ الأئمةُ العدول والشهود الأثبات، ولا يزال بحمد الله في كلِّ زمان بقايا منهم « يدعون من ضلَّ إلى الهدى، ويصبرون منهم على الأذى، يُحيون بكتاب الله الموتى، ويبصِّرون بنور الله أهل العمى، فكم من قتيل لإبليس قد أحيوه، وكم من ضالٍّ تائهٍ قد هدوه، فما أحسن أثرهم على الناس وأقبح أثر الناس عليهم، ينفون عن عباد الله تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين، الذين عقدوا ألوية البدعة، وأطلقوا عقال الفتنة، فهم مختلفون في الكتاب، مخالفون للكتاب، مجمعون على مفارقة الكتاب، يقولونَ على الله، وفي الله، وفي كتاب الله بغير علم، يتكلّمون بالمتشابه من الكلام، ويخدعون جهّال الناس بما يشبّهون عليهم، فنعوذ بالله

---

(١) انظر : مدارج السالكين لابن القيم (١/ ١٣٩)، وشرح العقيدة الطحاوية (ص ١٩) .

من فتن المضلّين »[١].

ولهذا فإنَّ دراسة آثار هؤلاء وأقوالهم المنقولة عنهم في نصر السنة وتقرير التوحيد والردّ على أهل الأهواء يُعدّ من أنفع ما يكون لطالب العلم، للتمييز بين الحقّ والباطل، والسنة والبدعة، والهدى والضلال؛ لأن هؤلاء الأئمة قد مضوا في معتقدهم على ما كان عليه رسول الله ﷺ وصحابته من بعده، فهم بنبيهم محمد ﷺ مقتدون، وعلى منهاجه سالكون، ولطريقته مقتفون، وعن الأهواء والبدع المضلة معرضون، وعلى الصراط المستقيم والمحجة البيضاء سائرون، يوصي بذلك أولهم آخرهم، ويقتدي اللاحق بالسابق؛ ولهذا « لو طالعت جميع كتبهم المصنفة من أولهم إلى آخرهم، قديمهم وحديثهم ـ مع اختلاف بلدانهم وزمانهم، وتباعد ما بينهم في الديار، وسكون كل واحد منهم قطرا من الأقطار ـ وجدتهم في بيان الاعتقاد على وتيرة واحدة ونمط واحد، يجرون فيه على طريقة واحدة، لا يحيدون عنها، ولا يميلون فيها، قولهم في ذلك واحد، ونقلهم واحد، لا ترى بينهم اختلافا، ولا تفرقا في شيء ما وإن قل، بل لو جمعت جميع ما جرى على ألسنتهم ونقلوه عن سلفهم وجدته كأنه جاء من قلب واحد،

---

(١) مقتبس من مقدّمة كتاب الردّ على الزنادقة والجهمية للإمام أحمد بن حنبل رحمه الله .

وجرى على لسان واحد »[١]، والسبب في ذلك هو لزوم الجميع سنة النبي ﷺ، وبعدهم عن الأهواء والبدع، فهم كما قال الأوزاعي ـ رحمه الله ـ : « ندور مع السنة حيث دارت »[٢]، فهذا شأنهم وديدنهم، يدورون مع السنة حيث دارت نفيا أو إثباتا، فلا يثبتون إلا ما ثبت في الكتاب والسنة، ولا ينفون إلا ما نفي في الكتاب والسنة، لا يتجاوزون القرآن والحديث .

وهؤلاء الأئمة لم يكفوا عن الخوض فيما خاض فيه مَنْ سواهم لعجز منهم عن ذلك أو لضعف وعدم قدرة بل الأمر كما قال عمر بن عبدالعزيز ـ رحمه الله ـ : « ... فإن السابقين عن علم وقفوا، وببصر نافذ كفوا، وكانوا هم أقوى على البحث ولم يبحثوا »[٣]. ومن كان على نهج هؤلاء فهو في طريق آمنة وسبيل سالمة، قال محمد بن سيرين ـ رحمه الله ـ : « **كانوا يقولون : إذا كان الرجل على الأثر فهو على الطريق** »[٤].

ولما كان الأمر بهذه المثابة وعلى هذا القدر من الأهمية أحببت أن أقدّم دراسة لأحد الآثار المرويّة عن السلف الصالح

---

(١) الحجة للتيمي (٢/ ٢٢٤، ٢٢٥)، وهو من كلام أبي المظفر السمعاني رحمه الله .

(٢) رواه اللالكائي في شرح الاعتقاد (١/ ٦٤) .

(٣) رواه ابن بطة في الإبانة (١/ ٣٢١) .

(٤) رواه ابن بطة في الإبانة (١/ ٣٥٧) .

ـ رحمهم الله ـ في تقرير التوحيد وردّ البدع والأهواء؛ ليكون ـ إن شاء الله ـ أنموذجاً للتدليل على عظم فائدة العناية بآثار السلف وعظم ما يحصله من عُنيَ بها منَ فوائد وثمار ومنافع .

ولهذا نشطت في إعداد هذه الدراسة للأثر المشهور عن الإمام مالك ـ رحمه الله ـ عندما جاءه رجل وقال له : يا أبا عبدالله ﴿ ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥ ﴾ كيف استوى ؟، فتأثّر مالك ـ رحمه الله ـ من هذه المسألة الشنيعة وعلاه الرحضاء [أي العَرَق]، وقال في إجابته لهذا السائل : « الاستواء غير مجهول، والكيف غير معقول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة »، وأمر بالسائل أن يُخرج من مجلسه، وهو أثر عظيمُ النفع جليلُ الفائدة .

ويمكن أن أحدِّد أهمّ الدوافع التي شجّعت لتقديم هذه الدراسة لهذا الأثر خاصة في النقاط التالية :

أولاً : أنَّ هذا الأثر قد تلقّاه الناس بالقبول، فليس في أهل السنة والجماعة من ينكره، كما يذكر ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ[١]، بل إنَّ أهل العلم قد ائتّموا به واستجودوه واستحسنوه[٢] .

---

(١) مجموع الفتاوى (١٣/ ٣٠٩) .

(٢) انظر : مجموع الفتاوى لابن تيمية (٥/ ٥٢٠) .

ثانياً : أنّه من أنبل جواب وقع في هذه المسألة وأشدّه استيعاباً؛ لأنَّ فيه نبذ التكييف وإثبات الاستواء المعلوم في اللغة على وجه يليق بالله عز وجل(١) .

ثالثاً : أنَّ قوله هذا ليس خاصًّا بصفة الاستواء، بل هو بمثابة القاعدة التي يمكن أن تُقال في جميع الصفات .

رابعاً : محاولة أهل البدع في القديم والحديث تبديل معناه وتحريف مراده بطرق متكلّفة وسبل مختلفة .

خامساً : محاولة أحد جهّال المعاصرين التشكيك في ثبوته والطعن في أسانيده .

سادساً : التنبيه إلى أنَّ بعض أتباع الأئمة في الفروع لم يوَفَّقوا إلى العناية بمذهب أئمّتهم في الأصول، ولهذا ترى في بعض من يتعصبّون إلى مذهب الإمام مالك ـ رحمه الله ـ في الفروع من يخالفه في أصول الدين، ويفارقه في أساس المعتقد بسبب غلبة الأهواء وانتشار البدع .

إلى غير ذلك من الأسباب، وقد جعلت هذه الدراسة بعنوان : « الأثر المشهور عن الإمام مالك ـ رحمه الله ـ في صفة الاستواء، دراسة تحليلية » .

أما الهدف من هذه الدراسة فهو إعطاء هذا الأثر مكانته

---

(١) انظر : مجموع الفتاوى (٥/ ٥٢٠) .

اللائقة به واستخراج الدروس والقواعد العلمية المستفادة منه، والردّ على تحريفات المناوئين، وتشكيكات المحرّفين .

وقسمته إلى تمهيد وأربعة فصول وخاتمة على النحو التالي :

التمهيد، وفيه ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : ترجمة موجزة للإمام مالك بن أنس ـ رحمه الله ـ .

المبحث الثاني : في ذكر معتقد أهل السنة والجماعة في صفة الاستواء بإيجاز .

المبحث الثالث : في بيان أهمية القواعد وعِظم نفعها في معرفة صفات الباري .

الفصل الأول : في تخريج هذا الأثر، وبيان ثبوته، وذكر الشواهد عليه من الكتاب والسنة وأقوال السلف الصالح، وفيه أربعة مباحث :

المبحث الأول : تخريج الأثر، وبيان ثبوته عن الإمام مالك ـ رحمه الله ـ .

المبحث الثاني : ذكر الشواهد عليه من الكتاب والسنة .

المبحث الثالث : ذكر نظائر هذا الأثر مما جاء عن السلف الصالح .

المبحث الرابع : ذكر كلام أهل العلم في التنويه بهذا الأثر، وتأكيدهم على أهميّته، وجعله قاعدة من قواعد توحيد

الأسماء والصفات .

الفصل الثاني : في ذكر معنى هذا الأثر، وبيان مدلوله وما يُستفاد منه من ضوابط في توحيد الأسماء والصفات، وفيه أربعة مباحث :

المبحث الأول : في معنى قوله : « الاستواء غير مجهول » والضوابط المستفادة منه .

المبحث الثاني : في معنى قوله : « الكيف غير معقول » والضوابط المستفادة منه .

المبحث الثالث : في معنى قوله : « الإيمان به واجب » والضوابط المستفادة منه .

المبحث الرابع : في معنى قوله : « السؤال عنه بدعة » والضوابط المستفادة منه .

الفصل الثالث : في إبطال تحريفات أهل البدع لهذا الأثر .

الفصل الرابع : في ذكر فوائد عامة مأخوذة من هذا الأثر، وفيه ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : ذكر ما في قولهم : « حتى علاه الرّحضاء » من فائدة .

المبحث الثاني : ذكر ما في قوله : « ما أراك إلاّ مبتدعاً » من فائدة .

المبحث الثالث : ذكر ما في قوله : « أخرجوه عنِّي » من فائدة .

الخاتمة : وفيها خلاصة البحث وأهمّ نتائجه .

ولا يفوتني هنا أن أشكر كلَّ من تفضل عليَّ بأيٍّ مساعدة في انجاز هذا الكتاب سواءً برأي أو مشورة أو ملحوظة أو مراجعة أو غير ذلك، وأخصُّ بالذكر صاحبَ الفضيلة الشيخ بكر بن عبدالله أبو زيد حفظه الله ومتعه بالصحة والعافية الذي تكرم بقراءته وإبداء ملحوظاته القيمة وتوجيهاته الغالية أسأل الله أن يعلي قدره ويجزل مثوبته وأجره، وأسأله سبحانه أن يتقبّل مني هذا العمل بقبول حسن، وأن يجعله لوجهه خالصاً، وللحق موافقاً، وأن يغفر لي ولوالدي وللإمام مالك ولجميع أئمة المسلمين، وللمسلمين والمسلمات، والمؤمنين والمؤمنات الأحياء منهم والأموات، إنَّه هو الغفور الرحيم .

كتبه/ عبدالرزاق بن عبدالمحسن البدر
المدينة النبوية ص. ب ٦١٨

تمهيـد

لعل من الحسن قبل الشروع في الموضوع أن أُمهِّد بذكر بعض الأمور المهمّة بين يديه، وذلك من خلال المباحث التالية :

المبحث الأول : ترجمة موجزة للإمام مالك بن أنس ـ رحمه الله ـ[1]؛

أولاً : نسبه :

هو شيخ الإسلام، حجّة الأمة، إمام دار الهجرة، أبو عبدالله مالك بن أنس بن مالك بن أبي عامر بن عَمرو بن الحارث بن غيمان بن خُثيل بن عَمرو بن الحارث، وهو ذو أصبح بن عوف بن مالك بن زيد بن شدّاد بن زرعة، وهو حِمير الأصغر، الحِميري ثم الأصبحي المدني، حليف بني تَيم من قريش، فهم حلفاء عثمان أخي طلحة بن عبيدالله أحدِ العشرة .

وأمُّه هي عالية بنت شريك الأزدية .

---

(١) وهي ملخّصة من سير أعلام النبلاء للذهبي (٨/٤٨ وما بعدها)، وللوقوف على مصادر ترجمة الإمام مالك انظر هامش السير، الصفحة المتقدّمة .

وأعمامه هم : أبو سُهيل نافع، وأُويس، والربيع، والنضر، أولاد أبي عامر .

ثانياً : مولده :

قال الذهبي ـ رحمه الله ـ : « مولد مالك على الأصح في سنة ثلاث وتسعين، عام موتِ أنس خادم رسول الله ﷺ، ونشأ في صَون ورفاهية وتجمّل » .

ثالثاً : نشأته وطلبه للعلم :

طلب مالكٌ العلمَ وهو ابن بضع عشرة سنة، وتأهّل للفتيا، وجلس للإفادة وله إحدى وعشرون سنة، وحدّث عنه جماعة وهو حيٌّ شابٌّ طريٌّ، وقصدَه طلبة العلم من الآفاق في آخر دولة أبي جعفر المنصور وما بعد ذلك، وازدحموا عليه في خلافة الرشيد، إلى أن مات .

رابعاً : شيوخه :

طلب الإمام مالك ـ رحمه الله ـ العلمَ وهو حدَثٌ بُعيد موت القاسم وسالم، فأخذ عن نافع، وسعيد المقبري، وعامر بن عبدالله بن الزبير، وابن المنكدر، والزهري، وعبدالله بن دينار، وخلق .

وقد أحصى الذهبي ـ رحمه الله ـ شيوخه الذين روى عنهم في الموطأ وذكر إلى جنب كلٍّ واحد منهم عدد ما روى عنه

الإمام مالك ورتّبهم على حروف المعجم .

خامساً : تلاميذه :

قال الذهبي ـ رحمه الله ـ : « وقد كنت أفردتُ أسماء الرواة عنه في جزء كبير يُقارب عددهم ألفاً وأربع مائة، فلنذكر أعيانهم، حدّث عنه من شيوخه : عمّه أبو سُهيل، ويحيى بن أبي كثير، والزهري، ويحيى بن سعيد، ويزيد بن الهاد، وزيد بن أبي أُنيسة، وعمر بن محمد بن زيد، وغيرهم، ومن أقرانه : معمر، وابن جريج، وأبو حنيفة، وعمرو بن الحارث، والأوزاعي، وشعبة، والثوري . . . »، وذكر آخرين .

سادساً : مؤلفاته :

من مؤلفاته ـ رحمه الله ـ :

١ ـ الموطأ .

٢ ـ رسالة في القدر كتبها إلى ابن وهب .

٣ ـ مؤلف في النجوم ومنازل القمر .

٤ ـ رسالة في الأقضية .

٥ ـ رسالة إلى أبي غسان بن مطرّف .

٦ ـ جزء في التفسير .

وأما ما نقله عنه كبار أصحابه من المسائل والفتاوى والفوائد فشيءٌ كثيرٌ .

سابعاً : ثناء العلماء عليه :

١ ـ قال الشافعي : « العِلمُ يدور على ثلاثة : مالك، والليث، وابن عيينة » .

٢ ـ وروي عن الأوزاعي أنه كان إذا ذكر مالكاً يقول : « عالم العلماء، ومفتي الحرمين » .

٣ ـ وعن بقيّة أنَّه قال : « ما بقي على وجه الأرض أعلم بسنّة ماضية منك يا مالك » .

٤ ـ وقال أبو يوسف : « ما رأيت أعلمَ من أبي حنيفة، ومالك، وابن أبي ليلى » .

٥ ـ وذكر أحمد بن حنبل مالكاً فقدّمه على الأوزاعي، والثوري، والليث، وحماد، والحَكم، في العلم، وقال : « هو إمام في الحديث، وفي الفقه » .

٦ ـ وقال القطّان : « هو إمام يُقتدى به » .

٧ ـ وقال ابن معين : « مالكٌ من حُججِ الله على خلقه » .

٨ ـ وقال أسد بن الفرات : « إذا أردت الله والدارَ الآخرة فعليك بمالك » .

ثامناً : أقواله في السنة :

١ ـ قال مطرّف بن عبدالله : سمعتُ مالكاً يقول : « سنَّ رسول الله ﷺ وولاة الأمر بعده سُنناً، الأخذُ بها اتّباع لكتاب

الله، واستكمالٌ بطاعة الله، وقوّةٌ على دين الله، ليس لأحد تغييرها، ولا تبديلُها، ولا النّظرُ في شيء خالفها، من اهتدى بها فهو مهتد، ومن استنصر بها فهو منصور، ومن تركها اتبع غير سبيل المؤمنين، وولاّه الله ما تولّى، وأصلاه جهنم وساءت مصيرا » .

٢ ـ وروى إسحاق بن عيسى عن مالك ـ رحمه الله ـ أنه قال : « أكلما جاءنا رجل أجدل من رجل تركنا ما نزل به جبريل على محمد ﷺ لجدله » .

٣ ـ وقال أبو ثور : سمعت الشافعي يقول : « كان مالك إذا جاءه بعض أهل الأهواء قال : أمَا إني على بينة من ديني، وأما أنت فشاك، اذهب إلى شاك مثلك فخاصمه » .

٤ ـ وقال يحيى بن خلف الطرسوسي : « كنت عند مالك فدخل عليه رجل، فقال : يا أبا عبدالله ما تقول فيمن يقول : القرآن مخلوق ؟ فقال مالك، زنديق، اقتلوه، فقال : يا أبا عبدالله، إنما أحكي كلاما سمعته، قال : إنما سمعته منك، وعظم هذا القول » .

٥ ـ وروى ابن وهب عن مالك ـ رحمه الله ـ أنه قال : « الناس ينظرون إلى الله عز وجل يوم القيامة بأعينهم » .

٦ ـ وقال القاضي عياض : قال معن : « انصرف مالك

يوما فلحقه رجل يقال له : أبو الجويرية، متهم بالإرجاء، فقال : اسمع مني، قال : احذر أن أشهد عليك، قال : والله ما أريد إلا الحق، فإن كان صواباً فقل به، أو فتكلم، قال : فإن غلبتني، قال : اتبعني، قال : فإن غلبتك، قال : اتبعتك، قال : فإن جاء رجل فكلمنا، فغلبنا ؟ قال : اتبعناه، فقال مالك : يا هذا، إن الله بعث محمدا ﷺ بدين واحد، وأراك تتنقل » .

٧ ـ وعن مالك قال : « الجدال في الدين ينشىء المراء، ويذهب بنور العلم من القلب ويقسي، ويورث الضغن » .

تاسعاً : وفاته :

قال القعنبي : « سمعتهم يقولون : عمر مالك تسع وثمانون سنة، مات سنة تسع وسبعين ومائة » .

وقال إسماعيل بن أبي أُويس : « مرض مالك، فسألتُ بعض أهلنا عما قال عند الموت، قالوا : تشهّد، ثم قال : ﴿ لِلَّهِ ٱلْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِنۢ بَعْدُ ﴾ [الروم : ٤]، وتوفي صبيحة أربع عشرة من ربيع الأول سنة تسع وسبعين ومائة، فصلّى عليه الأمير عبدالله بن محمد بن إبراهيم بن محمد بن علي بن عبدالله بن عباس الهاشمي، وَلَد زينب بنت سليمان العباسية، ويُعرف بأمِّه »، رواها محمد بن سعد عنه، ثم قال : « وسألتُ مصعباً، فقال : بل مات في صفر، فأخبرني معن بن عيسى بمثل ذلك » .

وقال أبو مصعب الزهري : « مات لعشر مضت من ربيع الأول سنة تسع » .

وقال محمد بن سحنون : « مات في حادي عشر ربيع الأول » .

وقال ابن وهب : « مات لثلاث عشرة خلت من ربيع الأول » .

قال القاضي عياض : « الصحيح وفاته في ربيع الأول يوم الأحد لتمام اثنين وعشرين يوماً من مرضه » .

قال الذهبي : « تواترت وفاتُه في سنة تسع، فلا اعتبار لقول من غلِط وجعلها في سنة ثمان وسبعين، ولا اعتبار بقول حبيب كاتبه، ومطرِّف فيما حكي عنه، فقالا : سنة ثمانين ومائة » .

ونقل عن القاضي عياض أنَّ أسد بن الفرات قال : « رأيتُ مالكاً بعد موته، وعليه طويلة وثياب خضر وهو على ناقة، يطير بين السماء والأرض، فقلت : يا أبا عبدالله، أليس قد متَّ ؟ قال : بلى، فقلت : فإلامَ صِرتَ ؟، فقال : قدِمتُ على ربي وكلّمني كفاحاً، وقال : سلني أعطِك، وتمنَّ عليَّ أُرضِك » .

فرحمه الله، وغفر له، وأسكنه الفردوس الأعلى من الجنّة .

المبحث الثاني
في ذكر معتقد أهل السنة والجماعة في صفة الاستواء بإيجاز

الاستواء صفة من صفات الكمال الثابتة لذي العظمة والجلال ـ سبحانه ـ، وقد دل النقل على هذه الصفة حيث أثبتها الرب ـ سبحانه ـ لنفسه في كتابه، وأثبتها له رسوله ﷺ في سنَّته، وأجمع على ثبوتها المسلمون .

وقد وردت هذه الصفة في القرآن الكريم في مواطن عديدة، وكان ورودها فيه على نوعين : تارة معداة بـ « على »، وتارة معداة بـ « إلى » .

١ ـ **أما النوع الأول** : وهو مجيئها معداة بـ « على » فقد ورد في القرآن الكريم في سبعة مواضع، حيث تمدح بها الرب ـ سبحانه ـ، وجعلها من صفات كماله وجلاله، وقرنها بما يبهر العقول من صفات الجلال والكمال، مما يدل على ثبوت هذه الصفة العظيمة لله ثبوت غيرها من الصفات .

قال الشيخ العلامة محمد الأمين الشنقيطي ـ رحمه الله ـ : « اعلموا أنَّ هذه الصفة التي هي الاستواء صفة كمال وجلال تَمدَّح بها رب السموات والأرض، والقرينة على أنها صفة

كمال وجلال أن الله ما ذكرها في موضع من كتابه إلا مصحوبة بما يبهر العقول من صفات جلاله وكماله التي هي منها، وسنضرب مثلاً بذكر الآيات :

فأول سورة ذكر الله فيها صفة الاستواء حسب ترتيب المصحف سورة الأعراف قال : ﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾ ﴾ [الأعراف : ٥٤]، فهل لأحد أن ينفي شيئاً من هذه الصفات الدالة على الجلال والكمال .

الموضع الثاني في سورة يونس قال : ﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۖ مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ إِذْنِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا ۖ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقًّا ۚ إِنَّهُۥ يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ لِيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ بِٱلْقِسْطِ ۚ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ ﴿٤﴾ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَآءً وَٱلْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُۥ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا۟ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ ۚ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۚ يُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٥﴾ إِنَّ فِى ٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَّقُونَ ﴿٦﴾ ﴾ [يونس : ٣ ـ ٦] .

فهل لأحد أن ينفيَ شيئاً من هذه الصفات الدالة على هذا من الكمال والجلال .

الموضع الثالث في سورة الرعد في قوله جلّ وعلا: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ يُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُم بِلِقَآءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ ۝٢ وَهُوَ ٱلَّذِى مَدَّ ٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنْهَٰرًا وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ۝٣ وَفِى ٱلْأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَٰوِرَٰتٌ وَجَنَّٰتٌ مِّنْ أَعْنَٰبٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَىٰ بِمَآءٍ وَٰحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِى ٱلْأُكُلِ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ [الرعد: ٢ ـ ٤]، وفي القراءة الأخرى: ﴿ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ تُسْقَىٰ بِمَآءٍ وَٰحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِى ٱلْأُكُلِ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾.

فهل لأحد أن ينفي من هذه الصفات الدالة على الجلال والكمال.

الموضع الرابع في سورة طه: ﴿ طه ۝١ مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ ۝٢ إِلَّا تَذْكِرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ ۝٣ تَنزِيلًا مِّمَّنْ خَلَقَ ٱلْأَرْضَ وَٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلْعُلَى ۝٤ ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ ٱلثَّرَىٰ ۝٦ وَإِن تَجْهَرْ بِٱلْقَوْلِ فَإِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخْفَى ۝٧ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۝٨ ﴾ [طه: ١ ـ ٨].

فهل لأحد أن ينفي من هذه الصفات الدالة على الجلال والكمال.

الموضع الخامس في سورة الفرقان في قوله: ﴿ وَتَوَكَّلْ

عَلَى ٱلْحَيِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِۦ ۚ وَكَفَىٰ بِهِۦ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرًا ﴿٥٨﴾ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۚ ٱلرَّحْمَٰنُ فَسْـَٔلْ بِهِۦ خَبِيرًا ﴿٥٩﴾ ﴾ [الفرقان : ٥٨ ـ ٥٩] .

فهل لأحد أن ينفي شيئاً من هذه الصفات الدالة على هذا من الكمال والجلال .

الموضع السادس في سورة السجدة في قوله تعالى : ﴿ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۚ بَلْ هُوَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٣﴾ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ مَا لَكُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِىٍّ وَلَا شَفِيعٍ ۚ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٤﴾ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥٓ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴿٥﴾ ذَٰلِكَ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٦﴾ ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ ۖ وَبَدَأَ خَلْقَ ٱلْإِنسَٰنِ مِن طِينٍ ﴿٧﴾ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُۥ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ﴿٨﴾ ثُمَّ سَوَّىٰهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِۦ ۖ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۚ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٩﴾ ﴾ [السجدة : ٣ ـ ٩] .

فهل لأحد أن ينفي شيئاً من هذه الصفات الدالة على هذا من الجلال والكمال .

الموضع السابع في سورة الحديد في قوله تعالى : ﴿ هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْءَاخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣﴾ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۚ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا

﴿ يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۖ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤﴾ ﴾ [الحديد : ٣ ـ ٤] »[١].

٢ ـ أما النوع الثاني : وهو مجيئها معداة بـ « إلى » فقد ورد في القرآن في موطنين :

الأول في سورة البقرة، قال الله تعالى : ﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ ۚ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٩﴾ ﴾ [البقرة : ٢٩] .

الثاني : في سورة فُصِّلت، قال الله تعالى : ﴿ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ ﴿١١﴾ ﴾ [فصّلت : ١١] .

والاستواء معناه معلوم في لغة العرب، لا يجهله أحد منهم، والله قد خاطب عباده في القرآن الكريم بكلام عربيٍّ مبين، والاستواء معناه في اللغة العلوُّ والارتفاع[٢].

ولهذا فإن مذهب السلف في الاستواء هو إثباته لله عز

---

(١) منهج ودراسات لآيات الأسماء والصفات (ص : ١٥ ـ ١٧) .

(٢) هذا إذا كان معدًّى بـ « إلى » أو « على »، أما إذا كان مطلقاً كقوله تعالى : ﴿ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَٱسْتَوَىٰٓ ﴾ فإنَّ معناه : كمُل وتمّ، وأمَّا إذا كان مقروناً بواو (مع) التي تعدي الفعل إلى المفعول معه نحو : « استوى الماء والخشبة » فإنَّ معناه ساواها، انظر : مختصر الصواعق (ص : ٣٢٠) .

وجل كما أثبته لنفسه، وكما أثبته له رسوله ﷺ من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تكييف ولا تمثيل، بل يؤمنون بأنَّ الله مستو على عرشه استواء يليق بجلاله وكماله، ولا يشبه استواء أحد من خلقه ـ تعالى الله عن ذلك ـ، ومعنى الاستواء عندهم العلوّ والارتفاع، ولا خلاف بينهم في ذلك .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ : « وكلام السلف والأئمة ومن نقل مذهبهم في هذا الأصل كثير يوجد في كتب التفسير والأصول .

قال إسحاق بن راهويه : حدّثنا بشر بن عمر : سمعت غير واحد من المفسّرين يقولون : ﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴾ : أي ارتفع »[١] .

وقال البخاري في صحيحه : قال أبو العالية : « استوى إلى السماء : ارتفع »، قال : وقال مجاهد : « استوى : علا على العرش »[٢] .

وقال الحسين بن مسعود البغوي في تفسيره المشهور : « وقال ابن عباس وأكثر مفسري السلف : استوى إلى السماء :

---

(١) أورده الذهبي في العلو، وقال الألباني ـ رحمه الله ـ (ص : ١٦٠ ـ مختصره) : « وهذا إسناد صحيح مسلسل بالثقات الحفاظ . . . » .

(٢) صحيح البخاري (١٣/٤٠٣ ـ الفتح) .

ارتفع إلى السماء، وكذلك قال الخليل بن أحمد »[١].

وروى البيهقي في كتاب الصفات قال : قال الفرّاء : « ثم استوى، أي صعد، قاله ابن عباس، وهو كقولك للرجل : كان قاعداً فاستوى قائماً »[٢].

وروى الشافعي في مسنده عن أنس رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال عن يوم الجمعة : « وهو اليوم الذي استوى فيه ربكم على العرش »[٣].

---

(١) تفسير البغوي (١/ ٥٩) .

(٢) الأسماء والصفات (٢/ ٣١٠) .

(٣) مسند الشافعي (ص : ٧٠ ـ ٧١)، ورواه الذهبي في العلو من طريق الشافعي (ص : ٢٩ ـ ٣٠) ثم قال : « إبراهيم وموسى ضعفاء، أخرجه الإمام محمد بن إدريس في مسنده، وقد أخرجه الدارقطني من طريق حمزة بن واصل المنقري، عن قتادة، عن أنس ومن طريق عنبسة الرازي، عن أبي اليقظان عثمان بن عُمير، عن أنس، عن ابن محمد بن شعيب بن سابور، عن عمر مولى عفرة، عن أنس .
وأخرجه القاضي أبو أحمد العسّال في كتاب المعرفة له عن رجال، عن جرير بن عبدالحميد، عن ليث بن أبي سليم، عن عثمان بن أبي حميد ـ وهو أبو اليقظان ـ عن أنس، ورواه من طريق سلام بن سليمان، عن شعبة وإسرائيل وورقاء، عن ليث أيضاً .
وساقه الدراقطني من رواية شجاع بن الوليد، عن زيادة بن خيثمة، عن عثمان ابن أبي سليمان، عن أنس، والظاهر أن عثمان أبو اليقظان، وحدّث به الوليد بن مسلم، عن عبدالرحمن بن ثابت بن ثوبان، عن =

والتفاسير المأثورة عن النبي ﷺ والصحابة والتابعين مثل تفسير محمد بن جرير الطبري، وتفسير عبدالرحمن بن إبراهيم المعروف بدُحيم، وتفسير عبدالرحمن بن أبي حاتم، وتفسير أبي بكر بن المنذر، وتفسير أبي بكر عبدالعزيز، وتفسير أبي الشيخ الأصبهاني، وتفسير أبي بكر بن مردويه، وما قبل هؤلاء من التفاسير مثل تفسير أحمد بن حنبل وإسحاق بن إبراهيم، وبقي بن مخلد وغيرهم، ومن قبلهم مثل تفسير عبد بن حميد، وتفسير سُنيد، وتفسير عبدالرزاق، ووكيع بن الجراح فيها من هذا الباب الموافق لقول المثبتين ما لا يكاد يُحصى، وكذلك الكتب المصنّفة في السنة التي فيها آثار النبي ﷺ والصحابة والتابعين »[١].

وجاء عن الخليل بن أحمد قال : « أتيت أبا ربيعة الأعرابي وكان من أعلم من رأيت وكان على سطح فلما رأيناه أشرنا إليه بالسلام، فقال : استووا، فلم ندر ما قال، فقال لنا شيخ عنده : يقول لكم : ارتفعوا، قال الخليل : هذا من قوله تعالى : ﴿ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ ﴾ [فصّلت : ١١]، أي :

= سالم بن عبدالله، عن أنس بن مالك، وهذه طرق يعضد بعضها بعضاً، رزقنا الله وإيّاكم لذّةَ النظر إلى وجهه الكريم ».

(١) درء تعارض العقل والنقل (٢/ ٢٠ ـ ٢٢)، وانظر أيضاً : مجموع الفتاوى (٥/ ٥١٨ وما بعدها).

ارتفع وعلا »[١].

والاستواء سواء عُدّيَ بـ « إلى » أو بـ « على » فمعناه العلو والارتفاع، قال شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ : « ومن قال : استوى بمعنى عَمَدَ، ذكره في قوله : ﴿ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِيَ دُخَانٞ ﴾؛ لأنّه عُدي بحرف الغاية، كما يقال : عمدت إلى كذا، وقصدت إلى كذا، ولا يقال : عمدت على كذا ولا قصدت عليه، مع أنَّ ما ذُكر في تلك الآية لا يُعرف في اللغة أيضاً، ولا هو قول أحد من مفسريّ السلف؛ بل المفسِّرون من السلف قولهم بخلاف ذلك ـ كما قدّمناه عن بعضهم ـ »[٢]، وقد حكى ابن القيم ـ رحمه الله ـ إجماع السلف على ذلك[٣].

فهذا ملخَّص معتقد أهل السنة والجماعة في هذه الصفة، ومن أراد الاطّلاع على كلام أهل العلم في هذه الصفة موسّعاً فليطالع الكتب التي أُفرِدت في ذلك وهي كثيرة جداً، وكما قال السفاريني ـ رحمه الله ـ : « وقد أكثر العلماء من التصنيف، وأجلبوا بخيلهم ورَجِلِهم من التأليف، في ثبوت العلوّ والاستواء ونبّهوا على ذلك بالآيات والحديث وما حوى، فمنهم الراوي الأخبار بالأسانيد، ومنهم الحاذفُ لها وأتى بكلٍّ

(١) أورده الذهبي في العلو (ص : ١٧١ ـ مختصره) .
(٢) مجموع الفتاوى (٥/ ٥٢١) .
(٣) مختصر الصواعق (ص : ٣٢٠) .

لفظٍ مفيدٍ، ومنهم المُطَوِّل المُسهِب، ومنهم المُختصِر والمتوسِّط والمهذِّب، فمن ذلك « مسألة العلوّ » لشيخ الإسلام ابن تيمية، و « العلوّ » للإمام الموفق صاحب التصانيف السنيّة، و « الجيوش الإسلاميّة » للإمام المحقق ابن قيِّم الجوزية، و « كتاب العرش » للحافظ شمس الدين الذهبي صاحب الأنفاس العليّة، وما لا أُحصي عدّهم إلاّ بكُلْفة، والله تعالى الموفِّق »[1].

---

(١) لوامع الأنوار البهيّة (١/ ١٩٥، ١٩٦) .

المبحث الثالث
في بيان أهمية القواعد
وعِظم نفعها في معرفة صفات الباري

لا ريب أنَّ معرفةَ القواعد والأصول والضوابط الكليّة الجامعة يُعدُّ من أعظم العلوم وأجلِّها نفعاً وأكثرها فائدةً، ذلك أنَّ « الأصول والقواعد للعلوم بمنزلة الأساس للبنيان والأصول للأشجار لا ثبات لها إلاّ بها، والأصول تبنى عليها الفروع، والفروع تثبت وتتقوّى بالأصول، وبالقواعد والأصول يثبت العلم ويقوى وينمى نماءً مطَّرداً، وبها تُعرف مآخذ الأصول، وبها يحصل الفرقان بين المسائل التي تشتبه كثيراً، كما أنَّها تجمع النظائر والأشباه التي من جمال العلم جَمعُها »[1] إلى غير ذلك من الفوائد العظيمة والمنافع الجليلة التي لا تحصى .

بل إنَّ « من محاسن الشريعة وكمالها وجمالها وجلالها : أنَّ أحكامَها الأصوليَّة والفروعية والعبادات والمعاملات وأمورها كلّها لها أصولٌ وقواعدُ تَضبِطُ أحكامَها وتَجمعُ مُتفرِّقَها

---

(١) طريق الوصول إلى العلم المأمول بمعرفة القواعد والضوابط والأصول للشيخ عبدالرحمن بن سعدي (ص : ٤) .

وتَنشر فروعَها وتَردُّها إلى أصولها »[١].

والقاعدة : هي أمرٌ كلّيٌّ ينطبق على جزئيّاتٍ كثيرةٍ تُفهم أحكامُها منها[٢].

فإذا ضُبطت القاعدةُ وفُهم الأصلُ أمكن الإلمام بكثيرٍ من المسائل التي هي بمثابة الفرع لهذه القاعدة، وأُمن الخلطُ بين المسائل التي قد تشتبه، وكان فيها تسهيلٌ لفهم العلم وحفظه وضبطه، وبها يكون الكلام مبنياً على علمٍ متينٍ وعدلٍ وإنصافٍ .

ولذا يقول شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ : « لا بُدَّ أنْ يكون مع الإنسان أصولٌ كليّةٌ تُردُّ إليها الجزئيّات؛ ليتكلّم بعلمٍ وعدلٍ، ثمّ يعرف الجزئيات كيف وقعت، وإلاّ فيبقى في كذبٍ وجهلٍ في الجزئيّات، وجهلٍ وظُلمٍ في الكليّات فيتولّد فسادٌ عظيمٌ »[٣].

لأجل هذا عُني أهل العلم كثيراً بوضع القواعد وجَمعها في الفنون المختلفة، فلا تكاد تجد فناً من الفنون إلاّ وله قواعدُ كثيرةٌ وضوابطُ عديدةٌ تَجمع مُتَفرِّقَه، وتُزيل مشتبَهَه، وتُنير

---

(١) الرياض الناضرة للشيخ عبدالرحمن بن سعدي (ص : ٢٤٣) .
(٢) انظر : شرح الكوكب المنير للفتوحي (ص : ٦) .
(٣) الفتاوى (١٩/٢٠٣) .

معالمَه، وتُيسِّر فهمَه وحِفظَه وضبطَه[١]، «ويحصل بها من النفع والفائدة على اختصارها ما لا يحصل في الكلام الطويل»[٢].

ولهذا فإنّه يترتّب على العناية بالقواعد المأثورة والأصول الكليّة المنقولة عن السلف الصالح ـ رحمهم الله ـ من الفوائد والمنافع ما لا يعلمه إلاّ الله؛ لأنَّ فيها كما يقال وضعُ النقاط على الحروف، وفيها تجليةٌ للأمور، وتوضيحٌ للمسائل، وإزالةٌ للّبس، وأَمْنٌ من الخَلْط، إلى غير ذلك من الفوائد.

---

(١) انظر: مقدمة الرسالة التي بعنوان: «فائدة جليلة في قواعد الأسماء الحسنى» المستلّة من بدائع الفوائد لابن القيّم، بتحقيقي.

(٢) تفسير ابن سعدي (٣/٥).



تحميل كتب و رسائل علمية
قناة عامة
معلومات
t.me/tahmilkutubwarosailifmiyah
رابط الدعوة
الإشعارات
معطلة

الفصل الأول

في تخريج هذا الأثر وبيان ثبوته عن الإمام مالك وذكر الشواهد عليه من الكتاب والسنة وأقوال السلف الصالح

المبحث الأوّل : تخريج هذا الأثر وبيان ثبوته عن الإمام مالك ـ رحمه الله ـ :

لقد اشتهر هذا الأثر عن الإمام مالك ـ رحمه الله ـ شهرة بالغة، ورواه عنه طائفة من تلاميذه، وهو مرويٌّ عنه من طرق عديدة، وقد حَظِي باستحسان أهل العلم، وتلقَّوه بالقبول، وهو مخرَّج في كتب عديدة من كتب السنة .

وفيما يلي ذكرٌ لما وقفت عليه من روايات لهذا الأثر مع ذكر مخرِّجيها، وما وقفت عليه من كلام أهل العلم في بيان ثبوته .

١ ـ رواية جعفر بن عبدالله[1]:

(١) عدَّه الذهبي في المشتبه في الرواة عن مالك، وتعقَّبه ابن ناصر الدين في توضيح المشتبه (٤/٩٨ ـ ٩٩) بقوله : « فيه نظر؛ لأنَّ هذا الإطلاق يوهم أنَّ شيخ جعفر مالك بن أنس الإمام، وكأنَّه ـ والله أعلم ـ عند المصنف الإمام مالك، فلهذا أطلقه، وليس بالإمام، إنما هو =

قال الحافظ أبو نعيم في الحلية : حدّثنا محمد بن علي بن مسلم العقيلي، ثنا القاضي أبو أميّة الغلابي، ثنا سلمة بن شبيب[١]، ثنا مهدي بن جعفر[٢]، ثنا جعفر بن عبدالله قال : كنا عند مالك بن أنس فجاءه رجل فقال : يا أبا عبدالله ﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥ ﴾ كيف استوى ؟، فما وجد مالك من شيء ما وجد من مسألته، فنظر إلى الأرض وجعل ينكتُ بعود في يده حتى علاه الرّحضاء - يعني العرق - ثمَّ رفع رأسه ورمى بالعود وقال : « الكيف منه غير معقول، والاستواء منه غير مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة »، وأمر

= مالك بن خالد الأسدي البصري كما سمَّاه الأمير وغيره »، وذكر نحوا من هذا ابن حجر في تبصير المنتبه (٢/ ٦٢١) .

(١) هو سلمة بن شبيب النيسابوري أبو عبدالرحمن الحَجْري المسمَعي، نزيل مكة .
قال أبو حاتم : « صدوق »، وقال أبو نعيم : « أحد الثقات، حدّث عنه الأئمة والقدماء »، توفي سنة (٢٤٧ هـ)، انظر : تهذيب الكمال (١١/ ٢٨٤) .

(٢) هو مهدي بن جعفر بن جَيْهان بن بهرام الرملي، أبو محمد .
قال فيه ابن حجر : « صدوق له أوهام » كما في التقريب له (برقم : ٦٩٧٩) .
ونقل ابن حجر في تهذيبه (١٠/ ٢٨٩) عن الذهبي قوله : « رأيت له رواية عن مالك في تفسير ابن أبي حاتم »، توفي سنة (٢٣٠ هـ) .

به فأُخرج[١].

ورواه الإمام أبو إسماعيل الصابوني في كتابه (عقيدة السلف) قال : أخبرنا أبو محمد المخلدي العدل، حدّثنا أبو بكر عبدالله بن محمد بن مسلم الإسفراييني، حدّثنا أبو الحسين علي بن الحسن، حدّثنا سلمة بن شبيب به، وذكر نحوَه، إلاّ أنّه قال : « الكيف غير معلوم »[٢].

ورواه أيضاً الإمام الصابوني من طريق أخرى قال : أخبرنا به جدّي أبو حامد أحمد بن إسماعيل، عن جدّ والدي الشهيد، وأبو عبدالله محمد بن عدي بن حمدويه الصابوني، حدّثنا محمد بن أحمد بن أبي عون النسوي، حدّثنا سلمة بن شبيب به[٣].

ورواه الحافظ اللالكائي في شرح الاعتقاد من طريق علي بن الربيع التميمي المقري قال : ثنا عبدالله بن أبي داود قال : ثنا سلمة بن شبيب به، باللفظ السابق[٤].

---

(١) الحلية لأبي نعيم (٦/ ٣٢٥، ٣٢٦)، ورواه الذهبي في السير (٨/ ١٠٠) من طريق أبي نعيم .
(٢) عقيدة السلف أصحاب الحديث (ص : ٣٨) .
(٣) عقيدة السلف أصحاب الحديث (ص : ٣٩) .
(٤) شرح الاعتقاد (٣/ ٣٩٨) .
قال الألباني ـ رحمه الله ـ : « وأما ما عزاه إليه صاحب « فرقان القرآن=

وتابعه بكّار بن عبدالله[١] عن مهدي بن جعفر عن مالك، ولم يذكر شيخه جعفر بن عبدالله .

أخرجه ابن عبدالبر في التمهيد[٢]، أخبرنا محمد بن عبدالملك قال : حدّثنا عبدالله بن يونس قال : حدّثنا بقيٌّ بن مخلد قال : حدّثنا بكار بن عبدالله القرشي قال : حدّثنا مهدي بن جعفر عن مالك بن أنس أنَّه سُئل عن قول الله عز وجل : ﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝ ﴾ : كيف استوى ؟، قال : فأطرق مالك ثم قال : « استواؤه مجهول[٣]، والفعل منه

= بين صفات الخالق وصفات الأكوان » (ص : ١٦) : بلفظ : « الاستواء مذكور » فلم أره فيه، ولا رأيت من ذكره غير المشار إليه، وهو من الثقات [كذا في الأصل وهو تصحيف من الطابع، والصواب « وهو من النفاة »]؛ ولذلك ركن إلى هذا اللفظ لأن فيه ما يريده من نفي معنى الاستواء وأنه معروف عند مالك »، مختصر العلوّ (ص : ١٤٢) .

(١) هو بكار بن عبدالله بن بسر بن أرطأة الدمشقي القرشي .
روى عن أسد بن موسى، وروى عنه أحمد بن أبي الحواري وأبو حاتم وأبو زرعة .
قال ابن أبي حاتم : « كتبت عنه عن أبي وسألته عن بكار هذا ؟ فقال : « هو صدوق »، الجرح والتعديل (٢/ ٤١٠) .

(٢) (٧/ ١٥١) .

(٣) كذا وردت العبارة في التمهيد وهي يقيناً محرّفة، والصواب كما في الطرق المتقدِّمة للأثر وغيرها « استواؤه غير مجهول »، وقد أفادني أحد طلاّب العلم الثقات باطّلاعه على النسخة الخطية للتمهيد في المغرب =

غير معقول، والمسألة عن هذا بدعة » .

وتابعه أيضاً الإمام الدارمي، قال في كتابه الردّ على الجهمية : حدّثنا مهدي بن جعفر الرملي ثنا جعفر بن عبدالله ـ وكان من أهل الحديث ثقة ـ عن رجل قد سمّاه لي، قال : جاء رجل إلى مالك بن أنس، وذكره[(١)] .

فزاد في إسناده بعد جعفر بن عبدالله : « عن رجل » .

ومهدي بن جعفر صدوق له أوهام وقد اضطرب في روايته لهذه القصة، فرواها مرّة عن شيخه جعفر بن عبدالله عن مالك، ورواها مرّة أخرى عن شيخه جعفر عن رجل عن مالك، ورواها مرّة ثالثة عن مالك مباشرة، وهذا الاضطراب الذي في هذه الطريق لا ينفي صحة القصة؛ لأنّها قد جاءت من طرق أخرى تعضدها وتقوّيها ـ كما سيأتي ـ .

٢ ـ رواية عبدالله بن وهب[(٢)]:

= ووجد لفظة [غير] ملحقة بالهامش من الناسخ، ثم وقفت على مصورة لها فوجدت الأمر كذلك .

(١) الردّ على الجهميّة (ص : ٥٥، ٥٦) .

(٢) هو عبدالله بن وهب بن مسلم القرشي الفهري، أبو محمد .
روى عن خلق كثير، وثّقه ابن معين وأبو زرعة، وقال فيه أحمد بن حنبل : « ما أصحّ حديثه وأثبتَه » .
وهو من أثبت الناس في مالك؛ فقد قال هارون بن عبدالله الزهري : =

قال البيهقي : أخبرنا أبو عبدالله الحافظ أحمد بن محمد بن إسماعيل بن مهران[(١)]، ثنا أبي[(٢)]، حدّثنا أبو الربيع بن أخي رشدين بن سعد[(٣)] قال : سمعت عبدالله بن وهب يقول : كنا

= « كان الناس يختلفون في الشيء عن مالك، فينتظرون قدوم ابن وهب حتى يسألوه عنه » .
وقال أبو مصعب : « مسائل ابن وهب عن مالك صحيحة »، توفي سنة (١٩٧ هـ)، تهذيب الكمال (١٦/ ٢٧٧ ـ ٢٨٦) .
وقال فيه ابن حجر في التقريب (رقم : ٣٧١٨) : « ثقة حافظ عابد » .

(١) أحمد بن محمد بن إسماعيل بن مهران الإسماعيلي النيسابوري أبو الحسن .
قال فيه الذهبي في تاريخ الإسلام « وفيات ٣٣١ هـ فما بعدها » (ص : ١٨٧) : « أبو الحسن الإسماعيلي النيسابوري العدل » .
وقال السمعاني في الأنساب (١/ ١٥٥) : « كان كثير السماع من أبيه » .

(٢) محمد بن إسماعيل بن مهران أبو بكر الإسماعيلي، قال فيه الحاكم : « هو أحد أركان الحديث بنيسابور، كثرة ورحلة واشتهارا . . . ثقة مأمون »، قال إبراهيم ابن أبي طالب : « لم يجوّد لنا حديث مالك كالإسماعيلي »، توفي سنة (٢٩٥ هـ)، انظر : سير أعلام النبلاء (١٤/ ١١٧ ـ ١١٨) .

(٣) أبو الربيع هو سليمان بن داود بن حماد بن سعد المَهْري، وجدّه حماد بن سعد أخو رِشْدين بن سعد، توفي سنة (٢٥٣ هـ) .
ترجم له المزّي في تهذيب الكمال (١١/ ٤٠٩ ـ ٤١٠)، وذكر أنَّ =

ورواه البيهقي في كتابه الاعتقاد بالإسناد نفسه[١].

وأورده الذهبي في العلوّ قال: وروى يحيى بن يحيى التميمي وجعفر بن عبدالله وطائفة، وذكره ثم قال: «هذا ثابت عن مالك»[٢].

وقال الإمام شمس الدين محمد بن عبدالهادي في كتابه في الاستواء: «صحيح ثابت عن مالك»[٣].

٤ ـ رواية جعفر بن ميمون[٤]:

قال الإمام أبو إسماعيل الصابوني حدّثنا أبو الحسن بن

---

(١) الاعتقاد (ص : ٥٦)، مختصر العلوّ (ص : ١٤١).

(٢) مختصر العلوّ (ص : ١٤١).

(٣) (ق : ٤) وهو عندي قيد التحقيق.

(٤) هو جعفر بن ميمون التميمي أبو عليّ، ويقال: أبو العوّام الأنماطي.

روى عن أبي العالية وعطاء بن أبي رباح وغيرهما، وروى عنه السفيانان ويحيى بن سعيد القطان وغيرهم.

قال عنه أحمد: «ليس بقويٍّ في الحديث»، ونحوه عن النسائي.

وقال فيه ابن معين: «ليس بذاك»، وقال في موضع آخر: «ليس بثقة»، وقال في موضع آخر: «صالح الحديث».

وقال أبو حاتم: «صالح»، ولعله من أجل هذا قال فيه الدارقطني: «يُعتبر به».

انظر: تهذيب الكمال (٥/ ١١٤، ١١٥).

وقال فيه ابن حجر في التقريب (رقم: ٩٦٩): «صدوق يخطىء، من السادسة».

إسحاق المدني، حدّثنا أحمد بن الخضر أبو الحسن الشافعي[١]، حدّثنا شاذان، حدّثنا ابن مخلد بن يزيد القهستاني، حدّثنا جعفر بن ميمون قال: سئل مالك بن أنس عن قوله: ﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴾ كيف استوى؟، قال: «الاستواء غير مجهول، والكيف غير معقول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة، وما أراك إلاّ ضالاً، وأمر به أن يخرج من مجلسه»[٢].

٥ ـ رواية سفيان بن عيينة[٣]:

---

(١) هو أحمد بن الخَضِر بن أحمد أبو الحسن النيسابوري الشافعي.
قال فيه الذهبي في السير (١٥/٥٠١): «الحافظ المجوِّد الفقيه...، من كبار الأئمة...، مات في جمادى الآخرة سنة أربع وأربعين وثلاثمائة».

(٢) عقيدة السلف أصحاب الحديث (ص: ٣٨).

(٣) هو سفيان بن عيينة بن أبي عمران، أبو محمد الكوفي ثم المكي.
قال فيه ابن حجر في التقريب (رقم: ٢٤٦٤): «ثقة، حافظ، فقيه، إمام، حجة، إلاّ أنه تغيّر حفظه بأخرَه، وكان ربّما دلس لكن عن الثقات».
وقال عنه الشافعي: «لولا مالك وسفيان لذهب علم الحجاز».
وأما اختلاطه فرُوي عن يحيى بن سعيد القطان، وأنَّ ذلك كان في سنة (١٩٧ هـ) أي سنة وفاة سفيان، قال الذهبي متعقِّباً إيّاه: «أنا أستبعد صحّة هذا القول؛ فإنَّ القطان مات في صفر سنة ثمان وتسعين، بُعيد قدوم الحُجَّاج بقليل، فمن الذي أخبره باختلاط سفيان؟، ومتى لَحِقَ يقول هذا القول؟!، فسفيان حجَّةٌ مطلقاً بالإجماع من أرباب الصحاح»، كذا في تاريخ الإسلام وفيات (١٩١ ـ ٢٠٠ هـ، ص: ١٩٩).

قال القاضي عياض : « قال أبو طالب المكي : كان مالك ـ رحمه الله ـ أبعدَ الناس من مذاهب المتكلِّمين، وأشدَّهم بُغضاً للعراقيين، وألزَمَهم لسنة السالفين من الصحابة والتابعين، قال سفيان بن عيينة : سأل رجلٌ مالكاً فقال : ﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴾ كيف استوى يا أبا عبدالله ؟، فسكت مالكٌ مليًّا حتى علاه الرحضاء، وما رأينا مالكاً وجد من شيء وجده من مقالته، وجعل الناس ينظرون ما يأمر به، ثمَّ سُرِّيَ عنه فقال : « الاستواء منه معلوم، والكيف، منه غير معقول، والسؤال عن هذا بدعة، والإيمان به واجب، وإني لأظُنُّك ضالاً، أخرجوه » .

فناداه الرجل : يا أبا عبدالله، والله الذي لا إلـه إلاَّ هو، لقد سألتُ عن هذه المسألة أهلَ البصرة والكوفة والعراق، فلم أجد أحداً وُفِّق لما وُفِّقت له »[١] .

٦ ـ رواية محمد بن النعمان بن عبدالسلام التيمي[٢]:

---

(١) ترتيب المدارك للقاضي عياض (٢/ ٣٩)، ونقله الذهبي في سير أعلام النبلاء (٨/ ١٠٦، ١٠٧) .

(٢) أبو عبدالله التيمي الأصبهاني .
قال عنه أبو الشيخ الأنصاري : « محدّث ابن محدّث ابن محدّث، توفي سنة أربع وأربعين ومائتين، يحدث عن وكيع وابن عيينة وحفص ابن غياث وأبي بكر بن عياش وغيرهم، أحد الورعين، قليل الحديث، لم يحدث إلا بالقليل »، طبقات المحدثين بأصبهان (٢/ ٢١١) .
وقال عنه الذهبي : « شيخ أصبهان، وابن شيخها، وأبو شيخها عبدالله »، تاريخ الإسلام وفيات (٢٤١ ـ ٢٥٠) (ص : ٤٧٥) .

قال أبو الشيخ الأنصاري في كتابه طبقات المحدّثين : حدّثنا عبدالرحمن بن الفيض[١]، قال : ثنا هارون بن سليمان[٢]، قال : سمعت محمد بن النعمان بن عبدالسلام يقول : « أتى رجل مالك بن أنس فقال : ﴿ ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ﴾ كيف استوى ؟، قال : فأطرق، وجعل يعرق، وجعلنا ننتظر ما يأمر به، فرفع رأسه، فقال : « الاستواء منه غير مجهول، والكيف منه غير معقول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة، وما أراك إلاّ ضالاً، أخرجوه من داري »[٣]، وإسناده جيّد .

٧ـ رواية عبدالله بن نافع[٤]:

---

(١) هو عبدالرحمن بن الفيض بن سنده بن ظهر أبو الأسود، أحد الثقات الأصبهانيين، تاريخ الإسلام وفيات (٣٢١ ـ ٣٣٠) (ص : ٨٤) .

(٢) هو هارون بن سليمان الخزار الأصبهاني، أحد الثقات، توفي سنة خمس، وقيل : ثلاثة وستين ومائتين، أخبار أصبهان لأبي نعيم (٢/ ٣٣٦) .

(٣) طبقات المحدّثين بأصبهان (٢/ ٢١٤) .

(٤) روى عن مالك رجلان بهذا الاسم :
أحدهما : عبدالله بن نافع الصائغ (ت ٢٠٦ هـ) .
والثاني : عبدالله بن نافع حفيد ثابت بن عبدالله بن الزبير بن العوّام، ولذلك يقال له : الزبيري، كما يعرف بعبدالله بن نافع الصغير (ت ٢١٦ هـ) .
ولم يتضح لي من خلال رواية ابن عبدالبر هذه أيّهما المراد، وقد قال الذهبي في السير (١٠/ ٣٧٢) : « وكثيراً ما تختلط روايتهم عند الفقهاء حتى لا علم عند أكثرهم بأنهما رجلان »، ونقل قبل ذلك عن =

عند مالك بن أنس فدخل رجل فقال : يا أبا عبدالله ﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴾ كيف استواؤه ؟، قال : فأطرق مالك وأخذته الرحضاء، ثم رفع رأسه فقال : « الرحمن على العرش استوى كما وصف نفسه، ولا يقال كيف، وكيف عنه مرفوع، وأنت رجل سوء صاحب بدعة أخرجوه، قال : فأخرج »(١).

قال الذهبي في العلوّ : « وساق البيهقي بإسناد صحيح عن أبي الربيع الرشديني عن ابن وهب . . . » وذكره(٢).

وقال الحافظ ابن حجر : « وأخرج البيهقي بسند جيِّد عن ابن وهب . . . » وذكره(٣).

٣ ـ رواية يحيى بن يحيى التميمي(٤):

قال البيهقي ـ رحمه الله ـ في كتابه الأسماء والصفات :

= النسائي وثّقه .

(١) الأسماء والصفات (٢/ ٣٠٤)، وأورده الذهبي في العلوّ (ص : ١٤١ مختصره) والأربعين (ص : ٨٠ ضمن مجموع الرسائل الست للذهبي) والسير (٨/ ١٠٠) .

(٢) مختصر العلوّ (ص : ١٤١) .

(٣) فتح الباري (١٣/ ٤٠٦، ٤٠٧) .

(٤) هو يحيى بن يحيى بن بكر التميمي أبو زكريا النيسابوري .
وثّقه أحمد وابن راهويه والنسائي وغيرهم . توفي سنة (٢٢٦ هـ)، تهذيب الكمال (٣٢/ ٣١ ـ ٣٧) .

أخبرنا أبو بكر أحمد بن محمد بن الحارث الفقيه الأصفهاني[١]، أنا أبو محمد عبدالله بن محمد بن جعفر بن حيّان المعروف بأبي الشيخ[٢]، ثنا أبو جعفر أحمد بن زيرك اليزدي : سمعت محمد بن عمرو بن النضر النيسابوري[٣] يقول : سمعت يحيى بن يحيى يقول : كنا عند مالك بن أنس فجاء رجل فقال : يا أبا عبدالله ﴿ ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥ ﴾ فكيف استوى ؟، قال : فأطرق مالك رأسه حتى علاه الرحضاء ثم قال : « الاستواء غير مجهول، والكيف غير معقول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة، وما أراك إلاّ مبتدعاً . فأمر به أن يُخرج »[٤].

---

(١) أبو بكر أحمد بن محمد بن أحمد بن عبدالله بن الحارث الفقيه التميمي الأصفهاني، قال فيه الذهبي في تاريخ الإسلام « وفيات ٤٣٠ هـ » (ص : ٢٨١) : « الزاهد المقرىء النحوي المحدِّث . . . ، وكان إماماً في العربية » .

(٢) أبو محمد عبدالله بن محمد بن جعفر بن حيّان المعروف بأبي الشيخ، قال فيه الخطيب البغدادي : « كان أبو الشيخ حافظاً ثبتاً متقناً »، توفي سنة (٣٦٩ هـ)، انظر : سير أعلام النبلاء (١٦/ ٢٧٧ ـ ٢٧٩) .

(٣) أبو علي محمد بن عمرو بن النضر الجرشي النيسابوري، قال الذهبي في تاريخ الإسلام (وفيات : ٢٨١ ـ ٢٩٠) (ص : ٢٨٢) : « وكان صدوقاً مقبولاً » .

(٤) الأسماء والصفات (٢/ ٣٠٥، ٣٠٦) .

قال الحافظ ابن عبدالبر ـ رحمه الله ـ : أخبرنا أبو محمد عبدالله بن محمد بن عبدالمؤمن[(١)]، قال : حدّثنا أحمد بن جعفر بن حمدان بن مالك[(٢)]، قال : حدّثنا عبدالله بن أحمد ابن حنبل[(٣)]، قال : حدّثني أبي، قال : حدّثنا سريج بن

= ترتيب المدارك للقاضي عياض أنَّ سحنوناً كان يرى وجوب بيانهما، وإن كانا ثقتين إمامين حتى لا تختلط روايتهما .

قال : « فإن الصائغ أكبر وأقدم وأثبت في مالك لطول صحبته له » .

وقد قال الحافظ ابن حجر في التقريب في الصائغ : « ثقة صحيح الكتاب في حفظه لين »، وقال في الزبيري : « صدوق » .

فليس في الأمر كبير إشكال؛ إذ حديث كل منهما لا ينزل عن درجة الحسن .

(١) عبدالله بن محمد بن عبدالمؤمن، أبو محمد يعرف بابن الزيات، توفي سنة (٣٩٠ هـ) .

انظر : جذوة المقتبس للحميدي (ص : ٢٥٢)، وبغية الملتمس للضبي (ص : ٣٣٢)، وفهرست ابن خير (ص : ١٠٢، ١٠٤)، وتذكرة الحفاظ للذهبي (ص : ١٥١١) .

(٢) أحمد بن جعفر بن حمدان بن مالك بن شبيب البغدادي، أبو بكر القطيعي، راوي مسند أحمد، قال فيه الدارقطني : « ثقة زاهد قديم »، وتُكلِّم فيه بأَخَرَه، توفي سنة (٣٦٨ هـ) .

انظر : السير للذهبي (١٦/٢١٢ ـ ٢١٣)، والمنهج الأحمد للعليمي (٢/٥٧ ـ ٥٨) .

(٣) عبدالله بن إمام السنة أحمد بن حنبل .

قال فيه الذهبي في السير (١٣/٥١٦) : « الإمام الحافظ الناقد، =

النعمان[١]، قال : حدّثنا عبدالله بن نافع، قال : قال مالك بن أنس : « الله عز وجل في السماء وعلمه في كلِّ مكان، لا يخلو منه مكان، قال : وقيل لمالك : ﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴾ كيف استوى ؟، فقال مالك ـ رحمه الله ـ : استواؤه معقول، وكيفيته مجهولة، وسؤالك عن هذا بدعة، وأراك رجل سوء »[٢].

٨ـ رواية أيوب بن صالح المخزومي[٣]:

= محدّث بغداد أبو عبدالرحمن، ابن شيخ العصر أبي عبدالله . . . » .
وقال الخطيب في تاريخه (٩/ ٣٧٥) : « وكان ثقة ثبتاً فهماً »، توفي سنة (٢٩٠ هـ) .

(١) سريج بن النعمان بن مروان الجوهري اللؤلؤي، أبو الحسين، ويُقال أبو الحسن البغدادي .
وثّقه يحيى بن معين، والعجلي، وأبو داود، وغيرهم .
وقال فيه ابن حجر : « ثقة يهم قليلاً »، كذا في التقريب، توفي سنة (٢١٧ هـ) .
انظر : تهذيب الكمال للمزي (١٠/ ٢١٨) .

(٢) التمهيد (٧/ ١٣٨) . والمراد بقوله : « الاستواء معقول » أي : معقول المعنى كما في الروايات الأخرى، وكما تفيده الجملة التي بعده، ألاَ وهي قوله : « وكيفيته مجهولة » .

(٣) أيوب بن صالح بن سلمة الحراني المخزومي أبو سليمان المدني، سكن الرملة، وروى عن مالك الموطأ، ضعّفه ابن معين، وقال فيه ابن عدي : « روى عن مالك ما لم يتابعه عليه أحد »، لسان الميزان (١/ ٤٨٣)، الضعفاء والمتروكين لابن الجوزي (١/ ١٣١)، المغني =

قال الحافظ ابن عبدالبر ـ رحمه الله ـ : وأخبرنا محمد بن عبدالملك[١]، قال : حدّثنا عبدالله بن يونس[٢]، قال : حدّثنا بقي بن مخلد[٣]، قال : حدّثنا بكّار بن عبدالله

= في الضعفاء للذهبي (١/ ١٥٥) .

(١) محمد بن عبدالملك بن ضيفون اللخمي القرطبي الحدّاد، أبو عبدالله .
قال فيه ابن الفرضي : « كان رجلاً صالحاً أحد العدول، وكتب الناس عنه، وعلت سنُّه فاضطرب في أشياء قُرئت عليه وليست ممّا سمع، ولا كان من أهل الضبط »، توفي سنة (٤٩٢ هـ) .
انظر : تاريخ العلماء لابن الفرضي (٢/ ١١٠)، والسير للذهبي (١٧/ ٥٦)، ولسان الميزان لابن حجر (٥/ ٢٦٧)، وقد تحرّف في مطبوعة اللسان إلى (محمد بن عبدالملك بن صفوان ؟) .

(٢) عبدالله بن يونس بن محمد بن عبيدالله المرادي أبو محمد، يُعرف بالقَبْري، من قبْرة الأندلس .
هو صاحب بقي بن مخلد، سمع منه مصنَّف ابن أبي شيبة، توفي سنة (٣٣٠ هـ) .
انظر : تاريخ العلماء لابن الفرضي (١/ ٢٦٥)، وتوضيح المشتبه لابن ناصر الدين (٧/ ١٧٨) .

(٣) بقي بن مَخلد بن يزيد، أبو عبدالرحمن الأندلسي القرطبي .
قال ابن الفرضي : « كان بقيٌّ ورِعاً فاضلاً زاهداً » .
وقال الذهبي : « الإمام القدوة شيخ الإسلام . . . الحافظ، صاحب التفسير والمسند اللذين لا نظير لهما »، توفي سنة (٢٧٦ هـ) .
انظر : تاريخ العلماء (١/ ١٠٧ ـ ١٠٩)، وسير أعلام النبلاء (١٣/ ٢٨٥) .

القرشي[١]... وساق روايته للأثر المتقدّمة من طريق مهدي ابن جعفر، ثم قال : قال بقيٌّ : وحدّثنا أيوب بن صلاح[٢] المخزومي بالرملة، قال : « كنا عند مالك إذ جاءه عراقي فقال له : يا أبا عبدالله مسألة أريد أن أسألك عنها فطأطأ مالك رأسه فقال له يا أبا عبدالله ﴿ ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ﴾ كيف استوى ؟، قال : سألتَ عن غير مجهول، وتكلّمت في غير معقول، إنّك امرؤ سوء، أخرِجوه، فأخذوا بضبعيه فأخرجوه »[٣].

٩ـ رواية بشّار الخفّاف الشيباني[٤]:

قال ابن ماجه في التفسير : حدّثنا علي بن سعيد[٥]، قال :

---

(١) بكّار بن عبدالله بن بسر الدمشقي القرشي .
قال فيه أبو حاتم في الجرح والتعديل (٢/ ٤١٠) : « هو صدوق » .

(٢) كذا في التمهيد، وهو خطأ .

(٣) التمهيد (٧/ ١٥١) .

(٤) هو بشار بن موسى الخفّاف الشيباني أبو عثمان، روى عن مالك، وروى عنه عليّ بن سعيد النسوي، تكلّم فيه البخاري ويحيى بن معين، وأبو داود، والنسائي وعلي بن المديني، وغيرهم .
قال أحمد بن يحيى بن الجارود : سمعت علياً [يعني : ابن المديني] وذكر بشار بن موسى [الخفاف] فقال : ما كان ببغداد أصلب منه في السنة، وما أحسن رأي أبي عبدالله فيه، يعني أحمد بن حنبل، انظر : تهذيب الكمال (٤/ ٨٥ ـ ٩٠) .

(٥) هو علي بن سعيد النسوي أو النسائي، قال في التقريب : « صدوق صاحب حديث » .

حدّثنا بشّار الخفّاف أو غيره، قال : « كنت عند مالك بن أنس فأتاه رجل فقال : يا أبا عبدالله ﴿ ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ﴾، كيف استوى ؟، وذكره، كذا في تهذيب الكمال[١].

وقال أبو المظفر السمعاني في تفسيره : « وقد رووا عن جعفر بن عبدالله وبشر الخفّاف[٢] قالا : كنّا عند مالك بن أنس فأتاه رجل فسأله عن قوله : ﴿ ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ﴾، كيف استوى ؟ فأطرق مالك مليًا، وعلاه الرحضاء، ثم قال : « الكيف غير معقول، الاستواء مجهول[٣]، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة، وما أظنّك إلاّ ضالاً، ثم أمر به فأُخرج »[٤]، من غير شك في رواية بشار الخفاف .

١٠ـ رواية سحنون[٥] عن بعض أصحاب مالك :

قال ابن رشد في البيان والتحصيل : قال سحنون :

---

(١) (٤/ ٩٠)، و (٢٠/ ٤٤٩) .

(٢) كذا، ولعله مصحّف من « بشار » .

(٣) كذا في المصدر المنقول عنه والصواب « الاستواء غير مجهول » .

(٤) تفسير السمعاني (٣/ ٣٢٠) .

(٥) سحنون : هو الإمام العلاّمة فقيه المغرب، أبو سعيد عبدالسلام بن حبيب بن حسان التنوخي، قاضي القيروان، وصاحب المدونة .
سمع من ابن عيينة، ولازم تلاميذ مالك : ابن وهب وابن القاسم وأشهب، حتى صار من نظرائهم، توفي سنة (٢٤٠ هـ) .
انظر : السير للذهبي (١٢/ ٦٣ ـ ٦٩) .

أخبرني بعض أصحاب مالك أنَّه كان قاعداً عند مالك فأتاه رجل فقال : « يا أبا عبدالله مسألة ؟، فسكت عنه ثم قال له : مسألة ؟، فسكت عنه، ثم عاد فرفع إليه مالك رأسَه كالمجيب له، فقال السائل : يا أبا عبدالله : ﴿ ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ﴾، كيف كان استواؤه ؟ فطأطأ مالك رأسه ساعة ثم رفعه، فقال : « سألتَ عن غير مجهول، وتكلّمتَ في غير معقول، ولا أراك إلاّ امرأ سوء، أَخرِجوه »[١].

فهذا جملة ما وقفت عليه من طرق لهذا الأثر عن إمام دار الهجرة مالك بن أنس ـ رحمه الله ـ، وبعض طرقه صحيحة ثابتة، وبعضها لا يخلو من مقال، إلا أنّها يشدّ بعضها بعضاً، ويشهد بعضها لبعض، والأثر ثابت بلا ريب بمجموع هذه الطرق، ولذا اعتمده أهل العلم، وصححه غير واحد، وقد تقدّمت الإشارة إلى بعض من صحّحه، ولا يُعرف أحدٌ منهم ضعّفه، وسيأتي في مبحث لاحق نقل كلام أهل العلم في التنويه به، والثناء عليه، وتلقّيهم له بالقبول والاستحسان .

---

(١) البيان والتحصيل (١٦/٣٦٧ ـ ٣٦٨) .

المبحث الثاني
ذكر الشواهد على هذا الأثر من الكتاب والسنة

لقد تضمّن هذا الأثر العظيم جملاً أربعاً وهي :

١ ـ الاستواء غير مجهول .

٢ ـ والكيف غير معقول .

٣ ـ والإيمان به واجب .

٤ ـ والسؤال عنه بدعة .

وهي جمل صحيحة المعنى عظيمة الدلالة، لكلِّ جملة منها شواهدها الكثيرة في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، وسيمرُّ معنا في ثنايا هذا المبحث العديد من النصوص التي تشهد لصحة كلِّ جملة من هذه الجمل، ولنقف هنا مع كلِّ جملة من هذه الجمل لذكر بعض الشواهد عليها من القرآن والسنة .

أوّلاً : أما قوله : « **الاستواء غير مجهول** » فالمراد به أنَّ الاستواء معلوم المعنى؛ لأنَّ الله قد خاطبنا في القرآن الكريم بكلام عربيٍّ مبين، قال الله تعالى : ﴿ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴾ [الشعراء: ١٩٣ ـ ١٩٥]، وقال تعالى: ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ [يوسف : ٢]، وقال تعالى : ﴿ كِتَٰبٌ فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٣﴾ ﴾ [فصلت : ٣]، وقال تعالى : ﴿ وَهَٰذَا كِتَٰبٌ مُّصَدِّقٌ لِّسَانًا عَرَبِيًّا ﴾

[الأحقاف : ١٢]، وقال تعالى : ﴿ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِى عِوَجٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴾ [الزمر : ٢٨]، فهو ـ سبحانه ـ أنزل القرآن الكريم بلسان عربي مبين؛ « لأنَّ لغة العرب أفصح اللغات وأبينها وأوسعها وأكثرها تأدية للمعاني التي تقوم بالنفوس، فلهذا أنزل أشرف الكتب بأشرف اللغات »[١]، وليفهم المخاطَبون به كلام الله وليعقلوا خطابه ويحيطوا بمعانيه كما قال ـ سبحانه ـ : ﴿ وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ قُرْءَانًا أَعْجَمِيًّا لَّقَالُوا۟ لَوْلَا فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥٓ ﴾ [فصلت : ٤٤] فمن لطف الله بخلقه أنه يرسل إليهم الرسل منهم بلغاتهم ليفهموا عنهم ما يريدون وما أرسلوا به إليهم، قال تعالى : ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ ﴾ [إبراهيم : ٤]، وفي المسند من حديث أبي ذر رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « لم يبعث الله عز وجل نبيًا إلاَّ بلغة قومه »[٢].

والقرآن الكريم شأنه كذلك، فهو بلسان عربيٍّ مبين، يفهمه المخاطَبون به، فمدلولاته ظاهرة، ومعانيه واضحة، وقد فهمه المخاطَبون به وعقلوا معناه، ولا سيما في أشرف مقاصده وأعظم أبوابه وهو توحيد الله عز وجل، « ومن المعلوم أنَّ

---

(١) تفسير ابن كثير (٤/ ٢٩٤) .

(٢) المسند (٥/ ١٥٨) . قال الهيثمي في المجمع (٧/ ٤٣) : « رجاله رجال الصحيح، إلاَّ أنَّ مجاهداً لم يسمع من أبي ذر »، لكن يشهد له القرآن .

الصحابة سمعوا القرآن والسنة من النبي ﷺ، وقرأوه وأقرأوه وأقرأوه مَن بعدهم، وتكلّم العلماء في معانيه وتفسيره، ومعاني الحديث وتفسيره، وما يتعلّق بالأحكام وما لا يتعلّق بها، وهم مجمعون على غالب معاني القرآن والحديث، ولم يتنازعوا إلاّ في قليل من كثير، لا سيّما القرون الأولى، فإنَّ النزاع بينهم كان قليلاً جدًّا بالنسبة إلى ما اتفقوا عليه، وكان النزاع في التابعين أكثر، وكلّما تأخّر الزمان كثر النزاع وحدث من الاختلاف بين المتأخرين ما لم يكن في الذين قبلهم، فإنَّ القرآن تضمّن الأمر بأوامر ظاهرة وباطنة، والنهي عن مناه ظاهرة وباطنة، ورسول الله ﷺ بيَّن مقادير الصلوات ومواقيتها وصفاتها، والزكوات ونصبها ومقاديرها، وكذلك سائر العبادات، وعامة هذه الأمور نقلتها الأمة نقلاً عامًّا متواتراً خلَفاً عن سلف، وحصل العلم الضروري للخلق بذلك كما حصل لهم العلم الضروري بأنَّه بلغهم ألفاظها، وأنَّه قاتل المشركين وأهل الكتاب، وأنَّه بُعث بمكة وهاجر إلى المدينة، وأنَّه دعا الأمة إلى أن شهدوا أن لا إلـٰه إلا الله وأنَّ محمداً رسول الله، وأخبرهم أنَّ هذا القرآن كلام الله الذي تكلّم به لا كلامه ولا كلام مخلوق، وأنَّه ليس قول البشر، وأنَّه علّمهم أنَّ ربه فوق سماواته على عرشه، وأنَّ المَلَك نزل من عنده إليه، ثم يعرج إلى ربِّه، وأنَّ ربّه يسمع ويرى ويتكلّم وينادي ويحب ويبغض

ويرضى ويغضب، وأنَّ له يدَيْن ووجهاً، وأنّه يعلم السِرَّ وأخفى، فلا يخفى عليه خافية في السماء ولا في الأرض، وأنّه يقيمهم من قبورهم أحياء بعدما مزّقهم البلى إلى دار النعيم أو إلى الجحيم »[١].

ثمَّ « إنَّ الله ـ سبحانه ـ وصف نفسه بأنّه بيّن لعباده غاية البيان، وأمر رسوله بالبيان، وأخبر أنّه أنزل عليه كتابه ليبيّن للناس، ولهذا قال الزهري : « مِن الله البيان، وعلى رسوله البلاغ، وعلينا التسليم »[٢]، فهذا البيان الذي تكفّل به ـ سبحانه ـ، وأمر به رسوله، إما أن يكون المراد به بيان اللفظ وحده، أو المعنى وحده، أو اللفظ والمعنى جميعاً، ولا يجوز أن يكون المراد به بيان اللفظ دون المعنى، فإنَّ هذا لا فائدة فيه، ولا يحصل به مقصود الرسالة، وبيان المعنى وحده بدون دليله وهو اللفظ الدال عليه ممتنع، فعُلم قطعاً أنَّ المراد بيان اللفظ والمعنى .

والله تعالى أنزل كتابه ـ ألفاظه ومعانيه ـ، وأرسل رسوله ليبيّن اللفظ والمعنى، فكما أنّا نقطع ونتيقّن أنّه بيَّن اللفظ،

---

(١) الصواعق المرسلة لابن القيم (٢/ ٦٥٣ ـ ٦٥٤) .

(٢) رواه البخاري في صحيحه تعليقاً (١٣/ ٥٠٣ ـ الفتح)، ووصله الحميدي في النوادر، والخطيب البغدادي وابن أبي عاصم في كتاب الأدب، كما في فتح الباري لابن حجر .

فكذلك نقطع ونتيقّن أنّه بيّن المعنى، بل كانت عنايته ببيان المعنى أشدّ من عنايته ببيان اللفظ، وهذا هو الذي ينبغي، فإنَّ المعنى هو المقصود، وأمّا اللفظ فوسيلة إليه ودليل عليه، فكيف تكون عنايته بالوسيلة أهمّ من عنايته بالمقصود ؟، وكيف نتيقّن بيانه للوسيلة ولا نتيقّن بيانه للمقصود ؟، وهل هذا إلا من أبين المحال ؟

فإنْ جاز عليه ألاّ يبيّن المراد من ألفاظ القرآن، جاز عليه ألاّ يبين بعض ألفاظه، فلو كان المراد منها خلاف حقائقها وظواهرها ومدلولاتها وقد كتمه عن الأمة، ولم يبيّنه لها كان ذلك قدحاً في رسالته وعِصمته، وفتحاً للزنادقة والملاحدة من الرافضة وإخوانهم باب كتمان بعض ما أنزل عليه، وهذا منافٍ للإيمان به وبرسالته »[1].

وقد أخبر الله ـ سبحانه وتعالى ـ أنّه أكمل به الدِّين وأتمَّ به النعمة، وأمره أن يبلّغ البلاغ المبين كما في قوله تعالى: ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ﴾ [المائدة : ٣]، وقوله : ﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ ﴾ [المائدة : ٦٧].

« ومحال مع هذا أن يدع أهم ما خلق له الخلق وأرسلت

---

(١) الصواعق المرسلة لابن القيم (٢/ ٧٣٧ ـ ٧٣٨).

به الرسل، وأنزلت به الكتب، ونصبت عليه القبلة، وأسست عليه الملة، وهو باب الإيمان به ومعرفته ومعرفة أسمائه وصفاته وأفعاله ملتبساً مشتبهاً حقّه بباطله، لم يتكلّم فيه بما هو الحق، بل تكلَّم بما ظاهره الباطل، والحق في إخراجه عن ظاهره، وكيف يكون أفضل الرسل وأجلّ الكتب غير وافٍ بتعريف ذلك على أتمِّ الوجوه، مبيّن له بأكمل البيان، موضح له غاية الإيضاح، مع شدَّة حاجة النفوس إلى معرفته، ومع كونه أفضل ما اكتسبته النفوس، وأجلّ ما حصلته القلوب، ومن أبين المحال أن يكون أفضل الرسل ﷺ قد علّم أمّته آداب البول، قبله وبعده ومعه، وآداب الوطء وآداب الطعام والشراب، ويترك أن يعلّمهم ما يقولونه بألسنتهم وتعتقده قلوبهم في ربهم ومعبودهم الذي معرفته غاية المعارف، والوصول إليه أجلّ المطالب، وعبادته وحده لا شريك له أقرب الوسائل، ويخبرهم فيه بما ظاهره باطل وإلحاد، ويحيلهم في فهم ما أخبرهم به على مستكرهات التأويلات، ومستنكرات المجازات، ثم يحيلهم في معرفة الحق على ما تحكم به عقولهم وتوجبه آراؤهم، هذا وهو القائل: « **تركتكم على البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها بعدي إلاّ هالك** »[1]، وهو

---

(١) رواه ابن ماجه (١/ ١٥)، وابن أبي عاصم في السنة (رقم ٤٨، ٤٩). وقال الألباني: « حديث صحيح ».

القائل : « ما بعث الله من نبي إلاّ كان حقًّا عليه أن يدلَّ أمّته على خير ما يعلمه لهم وينهاهم عن شرٍّ ما يعلمه لهم »[١]، وقال أبو ذر : « لقد توفي رسول الله ﷺ وما طائر يقلّب جناحيه في السماء إلا ذكّرنا منه علماً »[٢]، وقال عمر بن الخطاب : « قام فينا رسول الله ﷺ مقاماً، فذكر بدء الخلق حتى دخل أهل الجنة منازلهم، وأهل النار منازلهم، حفظ ذلك من حفظه ونسيه من نسيه »، ذكره البخاري . . . »[٣].

فكيف يتوهّم مَن لله ولرسوله ولدينه في قلبه وَقار أن يكون رسول الله ﷺ قد أمسك عن بيان هذا الأمر العظيم ولم يتكلّم فيه بالصواب، بل تكلّم بما ظاهره خلاف الصواب ؟، بل لا يتمّ الإيمان إلا باعتقاد أنّ بيان ذلك قد وقع من الرسول على أتمِّ الوجوه، وأوضحه غاية الإيضاح، ولم يَدَع بعده لقائل مقالاً ولا لمتأوّل تأويلاً، ثم من المحال أن يكون خير الأمة وأفضلها وأعلمها وأسبقها إلى كلٍّ فضل وهدى ومعرفة قصروا في هذا الباب فجفوا عنه أو تجاوزوا فغلوا فيه »[٤].

---

(١) رواه مسلم في صحيحه (٣/ ١٤٧٢) .
(٢) رواه الإمام أحمد (٥/ ١٥٣، ١٦٢) .
(٣) (٦/ ٢٨٦ ـ الفتح) .
(٤) الصواعق المرسلة (١/ ١٥٧ ـ ١٦٠)، وانظر : أول الرسالة الحموية لابن تيمية (ص : ٧) .

ثمّ إنَّ الله ـ سبحانه وتعالى ـ قد حثَّ عباده على تدبّر القرآن وتعقّل آياته وفهم معانيه في مواطن عديدة في القرآن الكريم، فقال سبحانه : ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴾ [محمد : ٢٤]، وقال تعالى : ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴾ [النساء : ٨٢]، وقال تعالى : ﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ ﴾ [ص : ٢٩]، وقال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٧﴾ ﴾ [الزمر : ٢٧]، وقال تعالى: ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ [يوسف : ٢]، والآيات في هذا المعنى كثيرة .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ : « فحضَّ على تدبّره وفقهه وعقله والتذكّر به والتفكر فيه، ولم يستثن من ذلك شيئاً؛ بل نصوص متعدّدة تصرّح بالعموم فيه مثل قوله : ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴾، وقوله : ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴾، ومعلوم أن نفي الاختلاف عنه لا يكون إلاّ بتدبّره كلّه، وإلاَّ فتدبّر بعضه لا يوجب الحكم بنفي مخالفةِ ما لم يُتَدَبَّر لما تُدُبِّر .

وقال علي رضي الله عنه لما قيل له : هل ترك عندكم رسول الله ﷺ شيئاً ؟، فقال : « لا، والذي فلق الحبة وبرأ النسمة إلا فهماً يؤتيه الله عبداً في كتابه، وما في هذه

الصحيفة »[١]. فأخبر أنَّ الفهم فيه مختلف في الأمة، والفهم أخصُّ من العلم والحكم، قال الله تعالى : ﴿ فَفَهَّمْنَٰهَا سُلَيْمَٰنَ وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا ﴾ [الأنبياء : ٧٩]، وقال النبي ﷺ : « رُبَّ مبلّغ أوعى من سامع »[٢]، وقال : « بلِّغوا عني ولو آية »[٣]، وأيضاً فالسلف من الصحابة والتابعين وسائر الأمة قد تكلّموا في جميع نصوص القرآن آيات الصفات وغيرها، وفسّروها بما يوافق دلالتها وبيانها، ورووا عن النبي ﷺ أحاديث كثيرة توافق القرآن، وأئمة الصحابة في هذا أعظم من غيرهم مثل عبدالله بن مسعود الذي كان يقول : « لو أَعلَمُ أعلمَ بكتاب الله مني تبلغه آباط الإبل لأتيته »[٤]، وعبدالله بن عباس الذي دعا له النبي ﷺ وهو حبر الأمة وترجمان القرآن كانا هما وأصحابهما من أعظم الصحابة والتابعين إثباتاً للصفات، ورواية لها عن النبي ﷺ، ومَن له خبرة بالحديث والتفسير يعرف هذا، وما في التابعين أجلّ من أصحاب هذين السيّدين، بل وثالثهما في عِلْيَةِ التابعين من جنسهم أو قريب منهم، ومثلهما في جلالته جلالة أصحاب زيد بن ثابت؛ لكن أصحابه مع جلالتهم

---

(١) رواه البخاري (٦/ ١٦٧ ـ الفتح)، ومسلم (١/ ٨٧) .
(٢) رواه البخاري (٣/ ٥٧٣ ـ ٥٧٤ ـ الفتح) .
(٣) رواه البخاري (٦/ ٤٩٦ ـ الفتح) .
(٤) رواه البخاري (٩/ ٤٧ ـ الفتح)، ومسلم (٤/ ١٩١٢ ـ ١٩١٣) .

ليسوا مختصين به بل أخذوا عن غيره مثل عمر وابن عمر وابن عباس، ولو كان معاني هذه الآيات منفياً ومسكوتاً عنه لم يكن ربانيو الصحابة أهل العلم بالكتاب والسنة أكثر كلاماً فيه .

ثم إنَّ الصحابة نقلوا عن النبي ﷺ أنّهم كانوا يتعلمون منه التفسير مع التلاوة، ولم يذكر أحد منهم عنه قط أنَّه امتنع من تفسير آية، قال أبو عبدالرحمن السلمي : « حدّثنا الذين كانوا يقرؤوننا القرآن عثمان بن عفان وعبدالله بن مسعود وغيرهما أنّهم كانوا إذا تعلّموا من النبي ﷺ عشر آيات لم يتجاوزوها حتى يتعلّموا ما فيها من العلم والعمل، قالوا : فتعلّمنا القرآن والعلم والعمل »[1]، وكذلك الأئمة كانوا إذا سُئلوا عن شيء من ذلك لم ينفوا معناه بل يثبتون المعنى وينفون الكيفية كقول مالك بن أنس لما سُئل عن قوله تعالى : ﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥ ﴾ كيف استوى ؟، فقال : « الاستواء معلوم، والكيف مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة »، وكذلك ربيعة قبله، وقد تلقى الناس هذا الكلام بالقبول، فليس في أهل السنة من ينكره . . . »[2].

فهذه هي طريقة أئمة السلف أهل السنة والجماعة في هذا

---

(١) رواه ابن أبي شيبة في المصنف (١٠/ ٤٦٠) .
(٢) مجموع الفتاوى (١٣/ ٣٠٧ ـ ٣٠٩) .

الباب وفي جميع أبواب الدين، وقد لخَّص الإمام ابن القيم ـ رحمه الله ـ طريقتهم هذه بقوله : « كان أئمة السلف وأتباعهم يذكرون الآيات في هذا الباب، ثمّ يُتبعونها بالأحاديث الموافقة لها، كما فعل البخاري ومَن قبله ومَن بعده من المصنفين في السنة، فإنَّ الإمام أحمد وإسحاق بن راهويه وغيرهما يحتجون على صحة ما تضمّنته أحاديث النزول والرؤية والتكليم والوجه واليدين والإتيان والمجيء بما في القرآن، ويثبتون اتفاق دلالة القرآن والسنة عليها، وأنّهما من مشكاة واحدة، ولا ينكر ذلك مَن له أدنى معرفة وإيمان، وإنّما يحسن الاستدلال على معاني القرآن بما رواه الثقات عن الرسول ﷺ ورثة الأنبياء، ثم يتبعون ذلك بما قاله الصحابة والتابعون أئمة الهدى .

وهل يخفى على ذي عقل سليم أنّ تفسير القرآن بهذه الطريق خير مما هو مأخوذ عن أئمة الضلال وشيوخ التجهّم والاعتزال كالمريسي والجبّائي والنظّام والعلاّف وأضرابهم من أهل التفرّق والاختلاف الذين أحدثوا في الإسلام ضلالات وبدعاً، وفرّقوا دينهم وكانوا شيعاً، وتقطّعوا أمرهم بينهم كلٌّ حزب بما لديهم فرحون .

فإذا لم يجز تفسير القرآن وإثبات ما دلّ عليه، وحصول العلم واليقين بسنن رسول الله ﷺ الصحيحة الثابتة، وكلام الصحابة وتابعيهم، أفيجوز أن يرجع في معاني القرآن إلى

تحريفات جهم وشيعته، وتأويلات العلاّف والنظام والجبّائي والمرّيسي وعبدالجبار وأتباعهم من كلِّ أعمى أعجمي القلب واللسان، بعيد عن السنة والقرآن، مغمور عند أهل العلم والإيمان ؟ »[١].

ويمكن أن نلخِّص ما تقدّم في ستة وجوه ذكرها شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ، فيها أوضح دلالة على أن المعنى معلوم ومطلوب من العباد العلم به :

« أحدها : أنّ العادة المطَّردة التي جبل الله عليها بني آدم توجب عنايتهم بالقرآن ـ المنزّل عليهم ـ لفظاً ومعنىً؛ بل أن يكون عنايتهم بالمعنى أوكد، فإنّه قد عُلم أنّه مَن قرأ كتاباً في الطب أو الحساب أو النحو أو الفقه أو غير ذلك، فإنّه لا بدَّ أن يكون راغباً في فهمه، وتصوُّر معانيه، فكيف بمن قرؤوا كتاب الله تعالى المنزل إليهم، الذي به هداهم الله، وبه عرّفهم الحق والباطل، والخير والشر، والهدى والضلال، والرشاد والغي ؟! .

فمن المعلوم أنَّ رغبتهم في فهمه وتصور معانيه أعظم الرغبات؛ بل إذا سمع المتعلّم من العالم حديثاً فإنّه يرغب في فهمه، فكيف بمن يسمعون كلام الله من المبلّغ عنه ؟!، بل

---

(١) مختصر الصواعق (ص : ٤٥٦) .

ومن المعلوم أنَّ رغبة الرسول ﷺ في تعريفهم معاني القرآن أعظم من رغبته في تعريفهم حروفه، فإنَّ معرفة الحروف بدون المعاني لا تُحَصِّل المقصود؛ إذ اللفظ إنما يُراد للمعنى .

الوجه الثاني : إنَّ الله سبحانه وتعالى قد حضّهم على تدبّره وتعقّله واتباعه في غير موضع، كما قال تعالى : ﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ ﴾ [ص : ٢٩]، وقال تعالى : ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴾ [محمد : ٢٤]، وقال تعالى : ﴿ أَفَلَمْ يَدَّبَّرُواْ ٱلْقَوْلَ أَمْ جَآءَهُم مَّا لَمْ يَأْتِ ءَابَآءَهُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٦٨﴾ ﴾ [المؤمنون : ٦٨]، وقال تعالى : ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾ ﴾ [النساء : ٨٢] .

فإذا كان قد حضّ الكفار والمنافقين على تدبّره، علم أنَّ معانيه مما يمكن للكفار والمنافقين فهمُها ومعرفتها، فكيف لا يكون ذلك ممكناً للمؤمنين، وهذا يبيّن أنَّ معانيه كانت معروفة بيّنة لهم .

الوجه الثالث : أنّه قال تعالى : ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢﴾ ﴾ [يوسف : ٢]، وقال تعالى : ﴿ إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٣﴾ ﴾ [الزخرف : ٣]، فبيّن أنّه أنزله عربيًّا؛ لأنْ يعقلوا، والعقل لا يكون إلاّ مع العلم بمعانيه .

الوجه الرابع : أنّه ذمّ من لا يفهمه فقال تعالى : ﴿ وَإِذَا

قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا ﴿٤٥﴾ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا ﴾ [الإسراء : ٤٥، ٤٦]، وقال تعالى : ﴿ فَمَالِ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا ﴾ [النساء : ٧٨]، فلو كان المؤمنون لا يفقهونه أيضاً لكانوا مشاركين للكفار والمنافقين فيما ذمّهم الله تعالى به .

الوجه الخامس : أنّه ذمّ من لم يكن حظّه من السماع إلا سماع الصوت دون فهم المعنى واتباعه، فقال تعالى : ﴿ وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ كَمَثَلِ ٱلَّذِى يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَآءً وَنِدَآءً ۚ صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴾ [البقرة : ١٧١]، وقال تعالى : ﴿ أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ ۚ إِنْ هُمْ إِلَّا كَٱلْأَنْعَٰمِ ۖ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴾ [الفرقان : ٤٤]، وقال تعالى : ﴿ وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّىٰٓ إِذَا خَرَجُوا۟ مِنْ عِندِكَ قَالُوا۟ لِلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ مَاذَا قَالَ ءَانِفًا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَٱتَّبَعُوٓا۟ أَهْوَآءَهُمْ ﴿١٦﴾ ﴾ [محمد : ١٦]، وأمثال ذلك .

وهؤلاء المنافقون سمعوا صوت الرسول ﷺ ولم يفهموا، وقالوا : ماذا قال آنفا ؟، أي : الساعة، وهذا كلام من لم يفقه قوله، فقال تعالى : ﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَٱتَّبَعُوٓا۟ أَهْوَآءَهُمْ ﴿١٦﴾ ﴾ .

فمن جعل السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار والتابعين لهم بإحسان غير عالمين بمعاني القرآن، جعلهم بمنزلة الكفار والمنافقين فيما ذمّهم الله تعالى عليه .

الوجه السادس : أنَّ الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ فسّروا للتابعين القرآن، كما قال مجاهد : « عرضت المصحف على ابن عباس من أوله إلى آخره، أقف عند كلِّ آية وأسأله عنها »(١).

ولهذا قال سفيان الثوري : « إذا جاءك التفسير عن مجاهد فحسبك به » . وكان ابن مسعود يقول : « لو أعلم أحداً أعلم بكتاب الله مني تبلغه الإبل لأتيته »(٢). وكلُّ واحد من أصحاب ابن مسعود وابن عباس نقل عنه من التفسير ما لا يحصيه إلا الله، والنقول بذلك عن الصحابة والتابعين ثابتة معروفة عند أهل العلم بها »(٣).

ثانياً : قوله : « والكيف غير معقول » فإنَّ العقول لا يمكن لها أن تدرك كيفية صفات الباري ـ سبحانه ـ، وقد نصّ الله على ذلك في قوله تعالى : ﴿ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا ﴿١١٠﴾ ﴾ [طه : ١١٠].

قال الشيخ العلاّمة محمد الأمين الشنقيطي ـ رحمه الله ـ : « فقوله : ﴿ يُحِيطُونَ بِهِۦ ﴾ فعل مضارع والفعل الصناعي الذي

(١) رواه أبو نعيم في الحلية (٣/ ٢٧٩ ـ ٢٨٠) ومن طريقه الذهبي في السير (٤/ ٤٥٦ ـ ٤٥٧) .
(٢) رواه البخاري (٩/ ٤٧ ـ الفتح)، ومسلم (٤/ ١٩١٢ ـ ١٩١٣) .
(٣) مجموع الفتاوى (٥/ ١٥٧ ـ ١٥٩) .

يسمى المضارع وفعل الأمر والفعل الماضي ينحل عند النحويين عن مصدر وزمن كما قال ابن مالك في الخلاصة[١]:

المصدر اسمُ ما سوى الزمان مِنْ
مدلولي الفعل كأمْنٍ مِنْ أمِنْ

وقد حرّر علماء البلاغة في مبحث الاستعارة التبعية أنه ينحل عن مصدر وزمن ونسبة، فالمصدر كامن في مفهومه إجماعاً، فـ« يحيطون » في مفهومها الإحاطة، فيتسلّط النفي على المصدر الكامن في الفعل فيكون معه كالنكرة المبنية على الفتح، فيصير المعنى : لا إحاطة للعلم البشري برب السموات والأرض، فينفي جنس أنواع الإحاطة عن كيفيتها، فالإحاطة المسندة للعلم منفية عن رب العالمين، فلا يشكل عليكم بعد هذا صفة نزول ولا مجيء ولا صفة يد ولا أصابع ولا عجب ولا ضحك؛ لأنَّ هذه الصفات كلّها من باب واحد، فما وصف الله به نفسه منها فهو حق، وهو لائق بكماله وجلاله لا يشبه شيئاً من صفات المخلوقين، وما وُصِف به المخلوقون منها فهو حق مناسب لعجزهم وفنائهم وافتقارهم، وهذا الكلام الكثير أوضحه الله في كلمتين ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾ ﴾، ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ﴾ تنزيه بلا تعطيل،

---

(١) انظر : شرح ابن عقيل لألفية ابن مالك (١/ ٥٥٧) .

﴿ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ إيمان بلا تمثيل، فيجب من أول الآية وهو ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ﴾ التنزيه الكامل الذي ليس فيه تعطيل، ويلزم من قوله : ﴿ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ الإيمان بجميع الصفات الذي ليس فيه تمثيل، فأول الآية وآخرها إيمان، ومن عمل بالتنزيه الذي في ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ﴾ والإيمان الذي في قوله ﴿ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ وقطع النظر عن إدراك الكنه والكيفية المنصوص في قوله : ﴿ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا ﴿١١٠﴾ ﴾ خرج سالماً »[١].

وروى أحمد وأبو داود وغيرهما عن معاوية بن أبي سفيان ـ رضي الله عنه ـ : « أنَّ النبي ﷺ نهى عن الأغلوطات »[٢].

قال عيسى بن يونس : « والأغلوطات ما لا يحتاج إليه من كيف وكيف »[٣].

وقال الخطابي : « وفيه كراهية التعمّق فيما لا حاجة للإنسان إليه من المسائل ووجوب التوقّف عمّا لا علم

---

(١) منهج ودراسات لآيات الأسماء والصفات للشنقيطي (ص : ٢٤، ٢٥).

(٢) المسند (٥/ ٤٣٥)، وأبو داود (رقم : ٣٦٥٦)، وقال الألباني ـ رحمه الله ـ في تخريج المصابيح (١/ ٨١) : « وسنده ضعيف، فيه عبدالله بن سعد وهو مجهول ـ كما قال الذهبي ـ » .

(٣) رواه ابن بطة في الإبانة (١/ ٤٠١) .

للمسؤول به »[١].

والله ـ تبارك وتعالى ـ لم يكلّف عباده ولم يأمرهم بالبحث عن كيفية صفاته ولا أراد منهم ذلك، بل لم يجعل لهم سبيلاً إليه، « ولهذا لمّا سئل مالك وغيره من السلف عن قوله تعالى: ﴿ ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ﴾ قالوا: الاستواء معلوم، والكيف مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة، وكذلك قال ربيعة شيخ مالك قبله: الاستواء معلوم، والكيف مجهول، ومن الله البيان، وعلى الرسول البلاغ، وعلينا الإيمان.

فبيّن أنَّ الاستواء معلوم، وأنَّ كيفية ذلك مجهول، ومثل هذا يوجد كثيراً في كلام السلف والأئمة، ينفون علم العباد بكيفية صفات الله، وأنّه لا يعلم كيف الله إلاَّ الله، فلا يعلم ما هو إلاَّ هو، وقد قال النبي ﷺ: « لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك »، وهذا في صحيح مسلم وغيره[٢]، وقال في الحديث الآخر: « اللّهم إني أسألك بكلّ اسم هو لك سمّيت به نفسك أو أنزلته في كتابك أو علّمته أحداً من خلقك أو استأثرت به في علم الغيب عندك »، وهذا الحديث في المسند وصحيح أبي حاتم[٣]، وقد أخبر فيه أنَّ لله من الأسماء

(١) معالم السنن (٥/ ٢٥٠).
(٢) صحيح مسلم (١/ ٣٥٢).
(٣) رواه أحمد (١/ ٣٩١)، والحاكم (١/ ٥٠٩)، وقال الهيثمي في =

ما استأثر به في علم الغيب عنده »[١] .

بل إنَّ الملخوقَ عاجزٌ عن إدراك كنه كثير من المخلوقات وكيفيتها، فلأن يكون عن إدراك كنه صفات الباري وكيفيتها أعجز من باب أولى، قال رُسته : سمعتُ ابن مهدي يقول لفتى من ولد الأمير جعفر بن سليمان : « بلغني أنّك تتكلّم في الرب، وتصفه وتشبهه . قال : نعم، نظرنا فلم نر من خلق الله شيئاً أحسن من الإنسان، فأخذ يتكلّم في الصفة، والقامة، فقال له : رُويدك يا بنيّ حتى نتكلّم أول شيء في المخلوق، فإن عجزنا عنه فنحن عن الخالق أعجز، أخبرني عمّا حدّثني شعبة، عن الشيباني، عن سعيد بن جبير، عن عبدالله : ﴿ لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ ﴾ [النجم : ١٨] قال : « رأى جبريل له ستمائة جناح »[٢]، فبقي الغلام ينظر، فقال: أنا أُهوِّن عليك صِفْ لي خلقاً له ثلاثة أجنحة، وركّب الجناح الثالث منه موضعاً حتى أعلم، قال : يا أبا سعيد عجزنا عن صفة المخلوق، فأُشهدك أني قد عجزتُ ورجعتُ »[٣] .

= المجمع (١٠/١٣٦) : « رواه أحمد وأبو يعلى والبزار . . . ورجال أحمد وأبي يعلى رجال الصحيح غير الجهني، وقد وثّقه ابن حبان » .

(١) مجموع الفتاوى (٣/ ٥٨) .

(٢) رواه البخاري (٦/ ٣١٣ ـ الفتح)، ومسلم (١/ ١٥٨) من طريق زر بن حُبيش، عن ابن مسعود رضي الله عنه .

(٣) رواه اللالكائي في الاعتقاد (٣/ ٥٣٠)، وذكره الذهبي في سير أعلام النبلاء (٩/ ١٩٦، ١٩٧)، واللفظ له .

وقال أبو يحيى زكريا الساجي : حدّثنا المزني : قال : قلت : « إن كان أحدٌ يخرجُ ما في ضميري، وما تعلّق به خاطري من أمر التوحيد فالشافعي، فصِرتُ إليه وهو في مسجد مصر، فلما جثوت بين يديه قلت : هجس في ضميري مسألة في التوحيد، فعلمت أنَّ أحداً لا يعلم علمك، فما الذي عندك ؟، فغضب، ثم قال : أتدري أين أنت ؟ قلت : نعم، قال : هذا الموضع الذي أغرق الله فيه فرعون، أبلَغك أنَّ رسول الله ﷺ أمر بالسؤال عن ذلك ؟، قلت : لا، قال : هل تكلّم فيه الصحابة ؟، قلت : لا، قال : تدري كم نجماً في السماء ؟، قلت : لا، قال : فكوكبٌ منها تعرف جنسَه، طلوعَه، أفولَه، ممّ خُلق ؟، قلت : لا، قال : فشيء تراه بعينك من الخلق لستَ تعرفه، تتكلم في علم خالقه ؟!، ثم سألني عن مسألة في الوضوء، فأخطأتُ فيها، ففرّعها على أربعة أوجه، فلم أُصب في شيء منه، فقال : شيء تحتاج إليه في اليوم خمس مرّات، تدعُ علمه، وتتكلّف علمَ الخالق، إذا هجس في ضميرك ذلك، فارجع إلى الله وإلى قوله تعالى : ﴿ وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ ﴿١٦٣﴾ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ . . . ﴾ [البقرة : ١٦٣، ١٦٤] الآية، فاستدِلَّ بالمخلوق على الخالق، ولا تتكلّف علمَ ما لم يبلغه عقلك،

قال : فتبتُ »(١) .

وقال القاضي أبو يعلى في كتابه إبطال التأويلات : « والله إنّا لعاجزون كالّون حائرون باهتون في حدّ الروح التي فينا، وكيف تعرج كلَّ ليلة إذا توفّاها بارئها، وكيف يرسلها ؟، وكيف تستقلّ بعد الموت ؟، وكيف حياة الشهيد المرزوق عند ربّه بعد قتله ؟، وكيف حياة النبيين الآن ؟، وكيف شاهد النبي ﷺ أخاه موسى يصلي في قبره قائماً، ثم رآه في السماء السادسة وحاوره، وأشار عليه بمراجعة رب العالمين، وطلب التخفيف منه على أمته ؟، وكيف ناظر موسى أباه آدم، وحَجَّه آدم بالقدر السابق، وبأنَّ اللّوم بعد التوبة وقبولها لا فائدة فيه ؟، وكذلك نعجز عن وصف هيأتنا في الجنة، ووصف الحور العين، فكيف بنا إذا انتقلنا إلى الملائكة وذواتهم وكيفياتها ؟، وأنّ بعضهم يمكنه أن يلتقم الدنيا في لقمة مع رونقهم وحسنهم وصفاء جوهرهم النوراني، فالله أعلى وأعظم، وله المثل الأعلى والكمال المطلق، ولا مثل له أصلا ﴿ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَٱشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٥٢﴾ ﴾ »(٢) .

وممّا يعين المسلم على قطع الطمع عن إدراك كيفية صفات الباري ـ سبحانه ـ، اعتقاده وإيمانه بأنَّ الله أكبر من كلِّ

---

(١) سير أعلام النبلاء (١٠/٣١، ٣٢) .

(٢) نقله الذهبي، انظر : مختصر العلو (ص : ٢٧٠، ٢٧١) .

شيء، فإذا اعتقد المسلم وآمن بأنّ الله ـ سبحانه وتعالى ـ أكبر من كلِّ شيء، وأنّ كلَّ شيء مهما كبر يصغر عند كبرياء الله وعظمته، علمَ من خلال ذلك علم اليقين أن كبرياءَ الربِّ وعظمتَه وجلالَه وجمالَه وسائرَ أوصافه ونعوته أمرٌ لا يمكن أن تحيط به العقول أو تتصوّره الأفهام أو تدركه الأبصار والأفكار، فالله أعظم وأعظم من ذلك، بل إنّ العقولَ والأفهامَ عاجزةٌ عن أن تدركَ كثيراً من مخلوقات الرب ـ تبارك وتعالى ـ، فكيف بالرب ـ سبحانه ـ.

ثبت عن ابن مسعود رضي الله عنه أنّه قال: « بين السماء الدنيا والتي تليها خمسمائة عام، وبين كلِّ سماء وسَمَاءٍ خمسمائة عام، وبين السماء السابعة والكرسيِّ خمسمائة عام، وبين الكرسيِّ والماء خمسمائة عام، والعرش فوق الماء، والله فوق العرش، لا يخفى عليه شيء من أعمالكم »[1].

وروي عن زيد بن أسلم رضي الله عنه قال: قال رسول الله

---

(١) رواه الدارمي في الرد على الجهمية (ص : ٢٦، ٢٧)، والطبراني في الكبير (٩/ ٢٢٨)، وأبو الشيخ في العظمة (٢/ ٦٨٩)، والبيهقي في الأسماء والصفات (٢/ ٢٩٠)، وغيرهم.
قال الهيثمي في المجمع (١/ ٨٦) : « رجاله رجال الصحيح »، وصححه الذهبي في العلو (ص : ١٠٣ ـ مختصره)، وابن القيم في اجتماع الجيوش (ص : ١٠٠).
وقال الألباني ـ رحمه الله ـ في العلو : « وسندهم جيّد ».

ﷺ : « **ما السموات السبع في الكرسي إلاّ كدراهم سبعة أُلقيت في تُرس** »[١].

وقال أبو ذر رضي الله عنه : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « **ما الكرسي في العرش إلاّ كحلقة من حديد أُلقيت بين ظهري فلاة من الأرض** »[٢].

وليتأمّل المسلم في عظم السماء بالنسبة إلى الأرض، وعظم الكرسيِّ بالنسبة إلى السماء، وعِظم العرش بالنسبة إلى الكرسيِّ، فإنّ العقولَ عاجزةٌ عن أن تدرك كمال هذه الأشياء أو أن تحيط بكُنْهِها وكيفيتها، فكيف بالأمر إذاً في الخالق ـ سبحانه ـ، فهو أكبر وأجلُّ من أن تعرف العقولُ كُنْهَ صفاته أو تدرك الأفهامُ كبريائَه وعظمتَه، ولهذا جاءت السنةُ بالنهي عن التفكّر في الله؛ لأنّ الأفكار والعقول لا تدرك كنه صفاته، فالله أكبر من ذلك، قال ﷺ : « **تفكّروا في آلاء الله، ولا تفكّروا في الله عز وجل** »[٣].

---

(١) رواه ابن جرير في تفسيره (٣/ ١٠)، وفي إسناده عبدالرحمن بن زيد بن أسلم ضعيف، وزيد تابعي، فهو مرسل .

(٢) رواه أبو نعيم في الحلية (١/ ١٦٦)، وأبو الشيخ في العظمة (٢/ ٦٤٨ ـ ٦٤٩)، والبيهقي في الأسماء والصفات (٢/ ٣٠٠ ـ ٣٠١)، وغيرهما، وقد صححه الألباني في السلسلة الصحيحة (رقم : ١٠٩) بمجموع طرقه .

(٣) رواه اللالكائي في شرح الاعتقاد (٣/ ٥٢٥)، وأبو الشيخ في العظمة (٢/ ٢١٠) من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه .

وإسناده ضعيف جدًّا، لكن له شاهد من حديث أبي هريرة، وعبدالله بن =

والتفكّرُ المأمور به هنا كما يبيّن ابن القيّم ـ رحمه الله ـ هو إحضار معرفتين في القلب ليستثمر منهما معرفة ثالثة[١]، وهذا يتضح بالمثال، فالمسلم إذا أحضر في قلبه كبر هذه المخلوقات من سموات وأرض وكرسي وعرش ونحو ذلك، ثم أحضر في قلبه عجزه عن إدراك هذه الأشياء والإحاطة بها حصل له بذلك معرفة ثالثة وهي عظمة وكبرياء خالق هذه الأشياء وعجز العقول عن أن تدرك صفاته أو تحيط بنعوته ـ سبحانه ـ، يقول ـ سبحانه ـ : ﴿ وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ وَلِىٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًۢا ﴿١١١﴾ ﴾ [الإسراء : ١١١]، فالله أكبر كبيراً والحمد لله كثيراً، وسبحان الله بكرة وأصيلاً .

ثالثاً : وأمّا قوله : « والإيمان به واجب » أي : الاستواء الذي وصف الرب به نفسه في كتابه، ووصفه به رسوله ﷺ في سنّته، وهكذا الشأن في جميع الصفات الواردة في الكتاب والسنة، يجب الإيمان بها وإمرارها كما جاءت دون تعرّض لها بردّ أو تحريف أو تكييف أو تمثيل أو غير ذلك، ولهذا ندب الله عباده وحثّهم ورغّبهم في مواطن كثيرة من القرآن الكريم على تعلّم أسماء الرب وصفاته والإيمان بها ومعرفتها معرفة صحيحة سليمة .

= سلاّم، وأبي ذر، وابن عباس، وقد حسّنه الألباني في السلسلة الصحيحة (رقم : ١٧٨٨) بمجموع طرقه .

(١) مفتاح دار السعادة (ص : ١٨١) .

يقول الله تعالى : ﴿ وَلِلَّهِ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ فَٱدۡعُوهُ بِهَاۖ وَذَرُواْ ٱلَّذِينَ يُلۡحِدُونَ فِيٓ أَسۡمَٰٓئِهِۦۚ سَيُجۡزَوۡنَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴾ [الأعراف : ١٨٠]، وقال تعالى : ﴿ قُلِ ٱدۡعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدۡعُواْ ٱلرَّحۡمَٰنَۖ أَيّٗا مَّا تَدۡعُواْ فَلَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ ﴾ [الإسراء : ١١٠]، وقال تعالى : ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِۖ هُوَ ٱلرَّحۡمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡمَلِكُ ٱلۡقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلۡمُؤۡمِنُ ٱلۡمُهَيۡمِنُ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡجَبَّارُ ٱلۡمُتَكَبِّرُۚ سُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلۡخَٰلِقُ ٱلۡبَارِئُ ٱلۡمُصَوِّرُۖ لَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴾ [الحشر : ٢٢ ـ ٢٤]، وقال تعالى : ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖ وَمِنَ ٱلۡأَرۡضِ مِثۡلَهُنَّۖ يَتَنَزَّلُ ٱلۡأَمۡرُ بَيۡنَهُنَّ لِتَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدۡ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عِلۡمَۢا ﴾ [الطلاق : ١٢]، وقال تعالى : ﴿ فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [البقرة : ٢٠٩]، وقال: ﴿ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ﴾ [البقرة : ٢٣١]، وقال : ﴿ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ ﴾ [البقرة : ٢٣٣]، وقال : ﴿ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٞ ﴾ [البقرة : ٢٣٥]، وقال : ﴿ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٞ ﴾ [البقرة: ٢٤٤]، وقال: ﴿ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴾ [البقرة : ٢٦٧]، وقال: ﴿ ٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ وَأَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴾ [المائدة : ٩٨]، وقال : ﴿ فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَوۡلَىٰكُمۡۚ نِعۡمَ ٱلۡمَوۡلَىٰ وَنِعۡمَ ٱلنَّصِيرُ ﴾ [الأنفال: ٤٠]، وقال: ﴿ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلۡمُتَّقِينَ ﴾ [البقرة: ١٩٤]، وقال: ﴿ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ فَٱحۡذَرُوهُۚ ﴾ [البقرة : ٢٣٥]،

وقال : ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾ [محمد : ١٩]، والآيات في هذا المعنى كثيرة .

فهذه الآيات وما في معناها تدلّ أوضح الدلالة على أهمية الإيمان بأسماء الرب ـ تبارك وتعالى ـ الحسنى، وصفاته العظيمة، وأنَّ ذلك من أصول الإيمان الراسخة، وأسسه العظيمة التي لا إيمان إلاّ بها، فمن جحدها أو جحد شيئاً منها فليس بمؤمن، كما قال الله تعالى : ﴿ وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِٱلرَّحْمَٰنِ ﴾، قال ذلك ـ سبحانه ـ في شأن من ينكر اسمه الرحمن، فكيف بمن ينكر أسماءه جميعها أو صفاته كلَّها ؟! .

وقال تعالى في شأن من شك في صفة واحدة : ﴿ وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَآ أَبْصَٰرُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَٰكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢٢﴾ وَذَٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ ٱلَّذِى ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَىٰكُمْ فَأَصْبَحْتُم مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِن يَصْبِرُوا۟ فَٱلنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ وَإِن يَسْتَعْتِبُوا۟ فَمَا هُم مِّنَ ٱلْمُعْتَبِينَ ﴿٢٤﴾ ﴾ [فصلت : ٢٢ ـ ٢٤]، فهؤلاء حصل منهم شك في صفة العلم، فظنوا أنَّ الله لا يعلم كثيراً من أعمالهم، فترتّب على هذا الظنّ الفاسد والاعتقاد الباطل تردّيهم في مهاوي الباطل وأودية الضلال، فكيف إذاً بمن عنده شك في جميع الصفات أو غالبها ؟! .

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما عن ابن مسعود رضي الله عنه : ﴿ وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ . . . ﴾ الآية :

« كان رجلان من قريش وخَتَنٌ لهما من ثقيف أو رجلان من ثقيف وخَتَنٌ لهما من قريش في بيت، فقال بعضهم : أترون أنَّ الله يسمع حديثنا ؟، قال بعضهم : يسمع بعضه، وقال بعضهم : لئن كان يسمع بعضه لقد يسمع كلّه، فأُنزلت : ﴿ وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَآ أَبْصَٰرُكُمْ ﴾ »[1].

هذا لفظ البخاري، ولفظ مسلم : عن ابن مسعود قال : « اجتمع عند البيت ثلاثة نفر، قرشيّان وثقفي، أو ثقفيان وقرشي، قليلٌ فقه قلوبهم، كثير شحم بطونهم، فقال أحدهم : أترون الله يسمع ما نقول ؟، وقال الآخر : يسمع إن جهرنا ولا يسمع إن أخفينا ؟، وقال الآخر : إن كان يسمع إذا جهرنا فهو يسمع إذا أخفينا، فأنزل الله عز وجل : ﴿ وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَآ أَبْصَٰرُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ ﴾ [فصلت : ٢٢] » .

وقال ـ تعالى ـ في شأن من لم ينزّه الله عمّا نزّه عنه نفسه مما لا يليق بجلاله وكماله ـ سبحانه ـ من النقائص والعيوب : ﴿ وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ﴿٨٨﴾ لَّقَدْ جِئْتُمْ شَيْـًٔا إِدًّا ﴿٨٩﴾ تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ ٱلْأَرْضُ وَتَخِرُّ ٱلْجِبَالُ هَدًّا ﴿٩٠﴾ أَن دَعَوْا۟ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدًا ﴿٩١﴾ وَمَا يَنۢبَغِى لِلرَّحْمَٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا ﴿٩٢﴾ ﴾ [مريم : ٨٨ ـ ٩٢] فهؤلاء غلطوا في صفة من صفات التنزيه ـ تنزيه الله عن الولد ـ فهو ـ سبحانه ـ

---

(١) صحيح البخاري (٨/ ٥٦١ ـ الفتح)، ومسلم (٤/ ٢١٤١) .

الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحدٌ، وقد وصف الرب ـ سبحانه ـ غلطَهم هذا بأنّه ﴿ إِدًّا ﴿٨٩﴾ ﴾ أي : عظيماً بالغ العظمة والخطورة، تكاد السموات على اتّساعها أن تتفطّر منه، والأرض على ترامي أطرافها أن تنشقّ والجبال على قُوّتها وصلابتها أن تخرَّ هداً، كلُّ ذلك بسبب تفوُّه هؤلاء بهذه المقالة الجائرة، المشتملة على هذا الغلط الفاحش في صفة من صفات الرب سبحانه، فكيف الشَّأن بمن كثرت أغلاطهم في هذا الباب، وتنوَّع باطلهم فيه ؟!

وروى البخاري ومسلم عن أمِّ المؤمنين عائشة ـ رضي الله عنها ـ أنَّ النبي ﷺ بعث رجلاً على سريّة وكان يقرأ لأصحابه في صلاته فيختم بـ ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ ﴾، فلما رجعوا ذكروا ذلك للنبي ﷺ فقال : « **سلوه لأيِّ شيء يصنع ذلك ؟**، فسألوه فقال : لأنّها صفة الرحمن، وأنا أحبُّ أن أقرأ بها، فقال النبي ﷺ : **أخبروه أنَّ الله يحبُّه** »[1].

وقد دلَّ هذا الحديث على عظم شأن الإيمان بصفات الرب ومحبّتها والحرص على تعلُّمها، وأنَّ ذلك سببٌ عظيمٌ من أسباب دخول الجنة ونيل رضي الرب ـ سبحانه ـ .

وروى عبدالرزاق في مصنّفه عن معمر عن ابن طاوس عن

---

(١) صحيح البخاري (١٣/ ٣٤٧ ـ الفتح)، وصحيح مسلم (١/ ٥٥٧) .

أبيه عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ أنّه رأى رجلاً انتفض لما سمع حديثاً عن النبي ﷺ في الصفات استنكاراً لذلك، فقال : (ما فَرَقُ هؤلاء ؟، يجدون رقّة عند محكمه ويهلكون عند متشابهه)(١) .

وصفات الله الواردة في القرآن والسنة جميعها من المحكم، إلاّ أنّ هذا الرجل لقلّة علمه وضعف تفريقه اشتبه عليه الأمر فبادر إلى الاستنكار، فأنكر عليه ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ ذلك وأخبر أنّ هذا الاستنكار سبيل هَلَكَةٍ .

والشاهد من جميع ما تقدّم أنّ الإيمان بأسماء الرب وصفاته الواردة في كتابه وسنة نبيّه محمد ﷺ يجب الإيمان بها جميعها، والإيمان بها داخل في الإيمان بالله بل هو ركن من أركان الإيمان بالله؛ لأنّ الإيمان بالله يقوم على أركان ثلاثة هي : الإيمان بوحدانية الله في ربوبيته، والإيمان بوحدانيته في ألوهيته، والإيمان بوحدانيته في أسمائه وصفاته(٢) .

ولذا قال شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ في مقدمة

---

(١) المصنف (١١/ ٤٢٣)، وأورده شيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب في كتابه التوحيد، وانظر شرحه في تيسير العزيز الحميد (ص : ٥٧٨) .

(٢) وقد أفردتُ في ذِكر هذه الأقسام وأدلّتها والردِّ على من أنكرها من غُلاة أهل الأهواء رسالة بعنوان : « القول السديد في الردِّ على من أنكر تقسيم التوحيد » وهي مطبوعة .

العقيدة الواسطية : « ومن الإيمان بالله الإيمانُ بما وصف به نفسه في كتابه وبما وصفه به رسوله ﷺ من غير تحريف ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل، بل يؤمنون بأنَّ الله ـ سبحانه ـ ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ [الشورى : ١١]، فلا ينفون عنه ما وصف به نفسه، ولا يحرفون الكلم عن مواضعه، ولا يلحدون في أسماء الله وآياته، ولا يكيّفون ولا يمثّلون صفاته بصفات خلقه . . . ؛ لأنه ـ سبحانه ـ لا سميّ له ولا كفء ولا ندّ له، ولا يقاس بخلقه ـ سبحانه وتعالى ـ، فإنه أعلم بنفسه وبغيره، وأصدق قيلاً وأحسن حديثاً من خلقه، ثم رسله صادقون مصدَّقون بخلاف الذين يقولون على الله ما لا يعلمون، ولهذا قال : ﴿ سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [الصافات : ١٨٠ ـ ١٨٢]، فسبّح نفسه عما وصفه به المخالفون للرسل وسلّم على المرسلين لسلامة ما قالوه من النقص والعيب .

وهو ـ سبحانه ـ قد جمع فيما وصف وسمّى به نفسه بين النفي والإثبات، فلا عدول لأهل السنة والجماعة عما جاء به المرسلون، فإنّه الصراط المستقيم، صراط الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصدّيقين والشهداء والصالحين » .

رابعاً : وأما قوله : « والسؤال عنه بدعة » فلأن السؤال عنه والبحث فيه أمر لم يشرع للعباد، بل دلت النصوص على عدم

إمكان ذلك، وأنه لا سبيل إلى العلم به .

ولهذا فإنه من خاض فيه وبحث عن علمه يكون قد قال على الله بلا علم، وقد قال الله تعالى : ﴿ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨٠﴾ ﴾ [البقرة : ٨٠].

وهذا من أعظم المحرمات، وقد قال الله تعالى : ﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْيَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [الأعراف : ٣٣].

وقفا ما ليس له به علم، وقد قال الله تعالى : ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴾ [الإسراء : ٣٦].

وتقدم بعقله القاصر بين يدي الله ورسوله، وقد قال الله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُقَدِّمُوا۟ بَيْنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١﴾ ﴾ [الحجرات : ١].

ثم إنه قد ورد في القرآن والسنة النهي عن الأسئلة عن الأمور المغيبة، وعن الأمور التي عفا الله عنها فلم يوجبها ولم يحرمها، وكذلك عن سؤال التعنت والأغلوطات، قال الله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَسْـَٔلُوا۟ عَنْ أَشْيَآءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ ﴾ [المائدة : ١٠١].

وقد ثبت في الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « دعوني ما تركتكم، فإنما أهلك من كان

قبلكم كثرة سؤالهم، واختلافهم على أنبيائهم، فإذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه، وإذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم »(١).

قال الشيخ العلاّمة عبدالرحمن بن سعدي ـ رحمه الله ـ في شرح هذا الحديث : « ومما يدخل في هذا الحديث السؤال عن كيفية صفات الباري؛ فإنَّ الأمر في الصفات كلّها كما قال الإمام مالك لمن سأله عن كيفية الاستواء على العرش ؟، فقال : « الاستواء معلوم، والكيف مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة »، فمن سأل عن كيفية علم الله، أو كيفية خلقه وتدبيره، قيل له : فكما أنَّ ذات الله ـ تعالى ـ لا تشبهها الذوات، فصفاته لا تشبهها الصفات، فالخلق يعرفون الله ويعرفون ما تعرّف لهم به من صفاته وأفعاله، وأما كيفية ذلك، فلا يعلم تأويله إلاّ الله »(٢).

فهذه بعض الشواهد لقول الإمام مالك ـ رحمه الله ـ « الاستواء غير مجهول، والكيف غير معقول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة »، والمقصود هنا هو الإشارة إلى بعض الشواهد فقط، وإلاّ فإنَّ استقصاء ذلك يطول .

---

(١) رواه البخاري (١٣/ ٢٥١ ـ الفتح)، ومسلم (٢/ ٩٧٥) .
(٢) بهجة قلوب الأبرار (ص : ٢١٩) .

المبحث الثالث
ذكرُ نظائر هذا الأثر
مما جاء عن السلف الصالح

إنَّ لقول الإمام مالك ـ رحمه الله ـ هذا نظائرَ كثيرةً جدًّا عند أئمّة السلف وأهل العلم، وسوف أتناول في هذا المبحث ـ إن شاء الله ـ ذكر بعض نظائره، لكن يحسن قبل ذلك الإشارةُ إلى أنَّ هذا اللفظ المنقول عن مالك والمشهور عنه ـ رحمه الله ـ قد سبقه إليه شيخُه ربيعةُ الرأي، ويُروى قبل ذلك عن أمِّ سلمة زوج النبي ﷺ لكن من وجه لا يثبت عنها ـ رضي الله عنها ـ .

روى اللالكائي في شرح الاعتقاد، والصابوني في عقيدة السلف، وابن قدامة في إثبات صفة العلوّ، والذهبي في العلوّ من طريق أبي كنانة محمد بن الأشرس الورّاق، حدّثنا أبو عمير الحنفي، عن قُرَّة بن خالد عن الحسن، عن أمِّه، عن أمِّ سلمة في قوله تعالى : ﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥ ﴾ قالت : « الاستواء غير مجهول، والكيف غير معقول، والإقرار به إيمان، والجحود به كفر »[1].

---

(١) شرح الاعتقاد للالكائي (٣/ ٣٩٧)، عقيدة السلف للصابوني (ص : ٣٧)، إثبات صفة العلوّ لابن قدامة (ص : ١٥٨)، صفة العلوّ =

قال شيخ الإسلام : « وقد رُوي هذا الجواب عن أمِّ سلمة ـ رضي الله عنها ـ موقوفاً ومرفوعاً، ولكن ليس إسناده مما يُعتمد عليه »(١).

وقال الذهبي : « هذا القول محفوظ عن جماعة كربيعة الرأي، ومالك الإمام، وأبي جعفر الترمذي، فأما عن أم سلمة فلا يصح؛ لأنَّ أبا كنانة ليس بثقة، وأبو عمير لا أعرفه »(٢).

وقال الذهبي في ذيل ديوان الضعفاء والمتروكين عن ابن الأشرس : « له مناكير، ليس بشيء »(٣).

أما أثرُ ربيعة الرأي فقد رواه اللالكائي في شرح الاعتقاد وابن قدامة في العُلوّ من طريق يحيى بن آدم عن ابن عيينة قال : سئل ربيعة عن قوله : ﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴾ كيف استوى ؟، قال : « الاستواء غير مجهول، والكيف غير معقول، ومن الله الرسالة، وعلى الرسول البلاغ، وعلينا التصديق »(٤).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية : « روى الخلال بإسناد كلهم

= للذهبي (ص : ٦٥) .

(١) مجموع الفتاوى (٥/ ٣٦٥) .

(٢) العلوّ للذهبي (ص : ٦٥) .

(٣) ذيل ديوان الضعفاء والمتروكين (ص : ٥٨) .

(٤) شرح الاعتقاد للالكائي (٣/ ٣٩٨)، إثبات صفة العلوّ لابن قدامة (ص : ١٦٤) .

ثقات عن سفيان بن عيينة قال : سئل ربيعة بن أبي عبدالرحمن . . . » فذكره[١] .

ورواه الذهبي في العلوّ من طريق النجَّاد قال : حدّثنا معاذ ابن المثنى حدّثني محمد بن بشر حدّثنا سفيان [وهو الثوري] قال : « كنت عند ربيعة بن أبي عبدالرحمن . . . » فذكره[٢] .

قال الألباني : « وهو صحيح »[٣] .

ورواه البيهقي في الأسماء والصفات من طريق عبدالله بن صالح بن مسلم قال : سئل ربيعة الرأي عن قول الله ـ تبارك وتعالى ـ : ﴿ ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥ ﴾ كيف استوى ؟، قال : « الكيف مجهول، والاستواء غير معقول، ويجب عليَّ وعليكم الإيمان بذلك كلِّه »[٤] .

هكذا لفظه : « الكيف مجهول، والاستواء غير معقول »، وهو مخالف للفظ السابق في الطريقين المتقدِّمين، وفي إسناده عبدالله بن صالح بن مسلم وهو أبو صالح المصري كاتب الليث، قال الحافظ في التقريب : « صدوق كثير الغلط، ثبت في كتابه، وكانت فيه غفلة » .

---

(١) مجموع الفتاوى (٥/ ٤٠) .
(٢) العلوّ (ص : ٩٨) .
(٣) مختصر العلوّ (ص : ٩٧) .
(٤) الأسماء والصفات (٢/ ٣٠٦، ٣٠٧) .

ثم هو أيضاً لم يدرك ربيعة، فقد كان مولده سنة سبع وثلاثين ومائة كما في ترجمته في تهذيب الكمال[١]، وكانت وفاة ربيعة الرأي على الصحيح كما في التقريب لابن حجر[٢] سنة ست وثلاثين ومائة .

أورد هذه الآثار الثلاثة ـ أعني أثر أم سلمة وربيعة ومالك ـ ابنُ قدامة في كتابه (ذمّ التأويل) ثم قال : « وهذه الأقوال الثلاثة متقاربة المعنى واللفظ، فمن المحتمل أن يكون ربيعة ومالك بلغهما قول أم سلمة فاقتديا بها وقالا مثل قولها لصحته وحسنه وكونه قول إحدى أزواج النبي ﷺ، ومن المحتمل أن يكون الله تعالى وفقهما للصواب وألهمهما من القول السديد مثل ما ألهمها »[٣] .

وقد تقدّم أنَّ أثر أم سلمة ـ رضي الله عنها ـ لم يثبت عنها، فلم يبق إلاّ الاحتمال الثاني وهو أنَّ الله وفقهما للصواب وألهمهما هذا القول السديد، وربما أنَّ مالكاً ـ رحمه الله ـ سمعه من شيخه فاقتدى به، أو أنّه لم يسمعه منه ولكن وُفِّق إليه كما وُفِّق إليه شيخه .

وذكر الذهبي في كتابه الأربعين أنَّ هذا الأثر يروى أيضاً

---

(١) (١٥/١٠٧) .
(٢) (ص : ٣٢٢) .
(٣) ذم التأويل (ص : ٢٦) .

عن وهب بن منبِّه[١]، لكن لم أقف عليه في مصادر التخريج .

ويشبه تماماً قولَ ربيعة ومالك هذا قولُ أبي جعفر الترمذي (ت ٢٩٥ هـ) ـ رحمه الله ـ عندما سُئل عن صفة النزول .

قال الخطيب البغدادي : حدّثني الحسن بن أبي طالب قال : نبّأنا أبو الحسن منصور بن محمد بن منصور القزاز قال : سمعت أبا الطيب أحمد بن عثمان السمسار والد أبي حفص بن شاهين يقول : حضرت عند أبي جعفر الترمذي فسأله سائل عن حديث النبي ﷺ : « **إنَّ الله تعالى ينزل إلى سماء الدنيا** . . . »، فالنزول كيف يكون يبقى فوقه علوّ ؟!، فقال أبو جعفر الترمذي : « النزول معقول، والكيف مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة » »[٢].

وأورده الذهبي في العلوّ، قال الألباني ـ رحمه الله ـ : « وهذا إسناد رجاله كلهم ثقات . . . »[٣].

وعلّق الذهبيُّ على هذا الأثر بقوله : « صدق فقيهُ بغداد وعالمُها في زمانه؛ إذ السؤال عن النزول ما هو ؟ عيٌّ؛ لأنّه إنما يكون السؤال عن كلمة غريبة في اللغة، وإلاّ فالنزول والكلام

---

(١) الأربعين (ص : ٨٠ ضمن مجموع الرسائل الست له) .
(٢) تاريخ بغداد (١/ ٣٦٥) .
(٣) مختصر العلوّ (ص : ٢٣٢) .

والسمع والبصر والعلم والاستواء عباراتٌ جليّةٌ واضحةٌ للسامع، فإذا اتّصف بها من ليس كمثله شيء، فالصفة تابعةٌ للموصوف، وكيفية ذلك مجهولة عند البشر، وكان هذا الترمذي من بحور العلم ومن العُبَّاد الورعين . مات سنة خمس وتسعين ومائتين »[١] .

ويشبه هذا الأثر إلى حد ما ما أجاب به سهل بن عبدالله التستري (ت ٢٨٣ هـ) عندما سُئل عن القدر .

قال الحافظ اللالكائي : أخبرنا محمد بن إبراهيم النجيرمي، قال : ثنا أبو عبيد محمد بن عليّ بن حيدرة، قال : ثنا أبو هارون الأُبُلِّي وكان ممن صحب سهل بن عبدالله، وكان رجلاً صالحاً، وكان يُقرئنا القرآن في المسجد الجامع، قال : سُئل سهل بن عبدالله عن القدر، فقال : « الإيمان بالقدر فرضٌ، والتكذيب به كفرٌ، والكلام فيه بدعةٌ، والسكوت عنه سنةٌ »[٢] .

ثم إنَّ لأهل العلم أقوالاً كثيرةً جدًّا مماثلة لقول الإمام مالك هذا، وتُؤدّي إلى مقصوده، وكما قال شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ : « وهكذا سائر الأئمّة قولهم يوافق قول مالك . . . »[٣] .

---

(١) مختصر العلوّ (ص : ٢٣١) .
(٢) شرح الاعتقاد (٤/ ٧١١) .
(٣) مجموع الفتاوى (٥/ ٣٦٥) .

ومن أقوال السلف المماثلة لقول مالك ما يلي :

١ ـ قال شيخ الإسلام ابن تيمية : « روى أبو بكر الخلال في كتاب السنة عن الأوزاعي قال : سئل مكحول والزهري عن تفسير الأحاديث فقالا : « أمرّوها كما جاءت »، وروى أيضاً عن الوليد بن مسلم قال : سألت مالك بن أنس وسفيان الثوري والليث بن سعد والأوزاعي عن الأخبار التي جاءت في الصفات، فقالوا : « أمرُّوها كما جاءت »، ـ وفي رواية قالوا : « أمرُّوها كما جاءت بلا كيف » ـ وقولهم ـ رضي الله عنهم ـ : « أمرّوها كما جاءت » ردٌّ على المعطِّلة، وقولهم : « بلا كيف » ردٌّ على الممثِّلة، والزهري ومكحول هما أعلم التابعين في زمانهم، والأربعة الباقون أئمة الدنيا في عصر تابعي التابعين، ومن طبقتهم حماد بن زيد وحماد بن سلمة وأمثالهما . . . » .

وأورد أثر مالك وربيعة ثم قال : « فقول ربيعة ومالك « الاستواء غير مجهول، والكيف غير معقول، والإيمان به واجب » موافق لقول الباقين : « أمرُّوها كما جاءت بلا كيف »، فإنما نفوا علم الكيفية ولم ينفوا حقيقة الصفة، ولو كان القوم قد آمنوا باللفظ المجرّد من غير فهم لمعناه على ما يليق بالله لما قالوا : « الاستواء غير مجهول، والكيف غير معقول »، ولما قالوا : « أمرّوها كما جاءت بلا كيف »، فإنَّ الاستواء حينئذ لا يكون معلوماً، بل مجهول بمنزلة حروف المعجم، وأيضاً فإنّه

لا يحتاج إلى نفي علم الكيفية إذا لم يفهم عن اللفظ معنى، إنما يحتاج إلى نفي علم الكيفية إذا أُثبتت الصفات .

وأيضاً فإنَّ من ينفي الصفات الخبرية أو الصفات مطلقاً لا يحتاج إلى أن يقول : « بلا كيف »، فمن قال : إنَّ الله ليس على العرش، لا يحتاج أن يقول : بلا كيف، فلو كان مذهب السلف نفي الصفات في نفس الأمر لما قالوا : بلا كيف .

وأيضاً فقولهم : « أمرّوها كما جاءت » يقتضي إبقاء دلالتها على ما هي عليه، فإنها جاءت ألفاظاً دالَّة على معاني، فلو كانت دلالتها منتفية لكان الواجب أن يقال أمرّوا لفظها مع اعتقاد أن المفهوم منها غير مراد، أو : أمرّوا لفظها مع اعتقاد أنَّ الله لا يوصف بما دلّت عليه حقيقةً، وحينئذ تكون قد أُمرَّت كما جاءت، ولا يقال حينئذٍ : « بلا كيف »؛ إذ نفي الكيف عما ليس بثابت لغو من القول .

وروى الأثرم في السنة وأبو عبدالله بن بطة في الإبانة وأبو عمر الطلمنكي وغيرهم بإسناد صحيح عن عبدالعزيز بن عبدالله بن أبي سلمة الماجشون ـ وهو أحد أئمة المدينة الثلاثة الذين هم : مالك بن أنس وابن الماجشون وابن أبي ذئب ـ وقد سُئل عما جحدت به الجهمية : « أما بعد فقد فهمتُ ما سألتَ فيما تتابعت الجهمية ومن خلفها في صفة الرب العظيم الذي فاقت عظمته الوصف والتدبر، وكلّت الألسن عن تفسير صفته،

وانحصرت العقول دون معرفة قدرته، وردَّت عظمته العقول فلم تجد مساغاً فرجعت خاسئة وهي حسيرة، وإنما أُمروا بالنظر والتفكير، فيما خلق بالتقدير، وإنما يقال: «كيف» لمن لم يكن مرّة ثم كان، فأما الذي لا يحول ولا يزول ولم يزل وليس له مثل، فإنه لا يعلم كيف هو إلاّ هو، وكيف يُعرف قدر من لم يبدأ، ومن لا يموت ولا يبلى؟، وكيف يكون لصفته شيء منه حدٌّ أو منتهى يعرفه عارف، أو يحدُّ قدره واصف؟، على أنّه الحق المبين لا حق أحق منه ولا شيء أبين منه، الدليل على عجز العقول عن تحقيق صفته عجزها عن تحقيق صفة أصغر خلقه، لا تكاد تراه صغراً، يحول ويزول، ولا يُرى له سمع ولا بصر، لما يتقلّب به ويحتال من عقله أعضل بك وأخفى عليك مما ظهر من سمعه وبصره، فتبارك الله أحسن الخالقين، وخالقهم، وسيِّد السادة، وربُّهم، ليس كمثله شيء وهو السميع البصير.

اعرف ـ رحمك الله ـ غناك عن تكلف صفة ما لم يصف الرب من نفسه بعجزك عن معرفة قدر ما وصف منها، إذا لم تعرف قدر ما وصف فما تكلّفك علم ما يصف؟!، هل تستدل بذلك على شيء من طاعته؟، أو تزجر به عن شيء من معصيته؟...».

إلى أن قال: «فما وصف الله من نفسه فسماه على لسان

رسوله ﷺ سميناه كما سماه، ولم تتكلّف منه صفة ما سواه، لا هذا ولا هذا، ولا نجحد ما وصف، ولا نتكلّف معرفة ما لم يصف . . . »، إلى آخر كلامه ـ رحمه الله ـ[١] .

٢ ـ وقال إسماعيل بن علي الأبلي : سمعت سهل بن عبدالله بالبصرة سنة ثمانين ومئتين يقول : « العقل وحده لا يدل على قديم أزلّي فوق عرش محدث، نصبه الحق دلالة وعلَماً لنا لتهتدي القلوب به إليه ولا تتجاوزه، ولم يكلّف القلوبَ علم ماهية هُويّته، فلا كيف لاستوائه عليه، ولا يجوز أن يُقال : كيف الاستواء لمن أوجد الاستواء ؟، وإنّما على المؤمن الرضى والتسليم لقول النبي ﷺ : « إنَّه على عرشه »، وقال : إنّما سُمي الزنديق زنديقاً؛ لأنّه وَزَن دِقَّ الكلام بمخبول عقله وقياس هوى طبعه، وترك الأثر والاقتداء بالسنة، وتأوّل القرآن بالهوى، فسبحان من لا تكيّفه الأوهام، في كلام نحو هذا »[٢] .

٣ ـ وقال الإمام أبو حنيفة في كتابه الفقه الأكبر : « فما ذكره الله تعالى في القرآن من ذكر الوجه واليد والنفس فهو له

---

(١) الحموية (ص : ٢٤ ـ ٢٧) .
(٢) سير أعلام النبلاء (١٣/ ٣٣١، ٣٣٢)، وأورده الذهبي في العلو (ص : ٢٢٠ ـ مختصره)، لكن بلفظ : « . . . لأنّه لا يجوز لمؤمن أن يقول : كيف الاستواء، لمن خلق الاستواء . . . »، وفيه إشكالٌ ظاهرٌ، إلاّ إن أريد بالاستواء الثاني استواء المخلوق .

صفاتٌ بلا كيف، ولا يُقال إنَّ يده قدرته أو نعمته؛ لأنَّ فيه إبطال الصفة، هو قول أهل القدر والاعتزال، ولكن يده صفتُه بلا كيف، وغضبه ورضاه صفتان من صفاته بلا كيف »(١).

٤ ـ وروى الأثرم في كتاب السنة حدّثنا إبراهيم بن الحارث يعني العبادي، حدّثني الليث بن يحيى، قال : سمعت إبراهيم بن الأشعث، قال أبو بكر صاحب الفضيل : سمعت الفضيل بن عياض يقول : « ليس لنا أن نتوهّم في الله كيف وكيف؛ لأن الله وصف نفسه فأبلغ فقال : ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤ ﴾، فلا صفة أبلغ مما وصف الله به نفسه، وكذا النزول والضحك والمباهاة والاطلاع، كما شاء أن ينزل، وكما شاء أن يباهي وكما شاء أن يطلع، وكما شاء أن يضحك، فليس لنا أن نتوهّم كيف وكيف، وإذا قال لك الجهمي : أنا أكفر برب ينزل عن مكانه، فقل أنت : أنا أومن برب يفعل ما يشاء »(٢).

٥ ـ وعن سلمويه بن عاصم قاضي هجر قال : « كتب بشر المريسي إلى منصور بن عمار يسأله عن قول الله تعالى : ﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴾ : كيف استوى ؟، فكتب إليه :

---

(١) شرح الفقه الأكبر لملا علي القاري (ص : ٣٦، ٣٧) .

(٢) ذكره ابن تيمية في درء التعارض (٢/ ٢٣، ٢٤)، وابن القيم في اجتماع الجيوش الإسلامية (ص : ١٠٥، ١٠٦) .

استواؤه غير محدود، والجواب فيه تكلّف، ومسألتك عن ذلك بدعة، والإيمان بجملة ذلك واجب، قال الله تعالى: ﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ﴾ »(١).

٦ ـ وسئل أبو علي الحسين بن الفضل البجلي عن الاستواء وقيل له: كيف استوى على عرشه؟، فقال: « أنا لا أعرف من أنباء الغيب إلاَّ مقدار ما كُشف لنا، وقد أعلمنا جلّ ذكره أنّه استوى على عرشه ولم يخبرنا كيف استوى »(٢).

٧ ـ وقال الحافظ أبو بكر الخطيب البغدادي: « أما الكلام في الصفات، فإنَّ ما روي منها في السنن الصحاح، مذهبُ السلف إثباتُها وإجراؤها على ظواهرها، ونفي الكيفية والتشبيه عنها، وقد نفاها قومٌ فأبطلوا ما أثبته الله، وحققها قوم من المثبتين، فخرجوا في ذلك إلى ضرب من التشبيه والتكييف، والقصدُ إنّما هو سلوك الطريقة المتوسّطة بين الأمرين، ودينُ الله تعالى بين الغالي فيه والمقصِّر عنه، والأصلُ في هذا أنَّ الكلام في الصفات فرعُ الكلام في الذات، ويُحتذى في ذلك حذوه ومثاله، فإذا كان معلوماً أنَّ إثبات ربِّ العالمين إنّما هو إثبات وجود لا إثبات كيفية، فكذلك إثبات صفاته إنّما هو إثبات وجود لا إثبات تحديد

---

(١) رواه الخطيب في تاريخه (١٣/ ٧٥، ٧٦)، وأورده الذهبي في السير (٩/ ٩٧)، وفي العلو (ص: ١٦١ ـ مختصره)، وضعّف إسناده الألباني.

(٢) رواه الصابوني في عقيدة السلف (ص: ٤٠).

وتكييف، فإذا قلنا : لله يدٌ وسمعٌ وبصرٌ، فإنَّما هي صفاتٌ أثبتها الله لنفسه، ولا نقول : إنَّ معنى اليد القدرة، ولا إنَّ معنى السمع والبصر العلم، ولا نقول : إنَّها جوارح، ولا نشبّهها بالأيدي والأسماع والأبصار التي هي جوارحُ وأدوات للفعل، ونقول : إنَّما وجب إثباتها؛ لأنَّ التوقيف ورد بها، ووجب نفي التشبيه عنها لقوله : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ﴾، ﴿ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤ ﴾ »[1].

٨ ـ وقال أبو منصور معمر بن أحمد : « ولما رأيت غربة السنة، وكثرة الحوادث واتباع الأهواء أحببت أن أوصي أصحابي وسائر المسلمين بوصية من السنة وموعظة من الحكمة، وأجمع ما كان عليه أهل الحديث والأثر، وأهل المعرفة والتصوف من السلف المتقدّمين، والبقية من المتأخرين . . . ـ فذكر أموراً ـ ثم قال : وأنَّ الله عز وجل استوى على عرشه بلا كيف ولا تشبيه ولا تأويل، فالاستواء معقول، والكيف فيه مجهول، والإيمان به واجب، والإنكار له كفر، وأنه ـ جلّ جلاله ـ مستوٍ على عرشه بلا كيف، وأنَّه ـ جلَّ جلاله ـ بائنٌ من خلقه والخلق بائنون منه، فلا حلول ولا ممازجة ولا اختلاط ولا ملاصقة؛ لأنَّه الفرد البائن من خلقه، الواحد الغني عن الخلق، علمه بكلِّ مكان، ولا يخلو

---

(١) سير أعلام النبلاء (١٨/ ٢٨٤) .

من علمه مكان »[١] .

٩ ـ وقال ابن قتيبة : « وعدلُ القول في هذه الأخبار أن نؤمن بما صحّ منها بنقل الثقات لها، فنؤمن بالرؤية والتجلي، وأنّه يعجب وينزل إلى السماء الدنيا، وأنّه على العرش استوى وبالنفس واليدين من غير أن نقول في ذلك بكيفية أو بحدّ أو أن نقيس على ما جاء ما لم يأت، فنرجو أن نكون في ذلك القول والعقد على سبيل النجاة غداً ـ إن شاء الله تعالى ـ »[٢] .

والآثار في هذا المعنى عن السلف مستفيضة، وممّا روي في هذا المعنى ـ لكن لم أقف له على إسناد ـ ما روي عن الشافعي أنّه قال ـ لما سئل عن الاستواء ـ : « آمنت بلا تشبيه، وصدّقت بلا تمثيل، واتهمت نفسي في الإدراك، وأمسكت عن الخوض غاية الإمساك » .

وعن أحمد أنّه قال : « استوى كما ذكر لا كما يخطر للبشر »[٣]، والله أعلم .

---

(١) ذكره التيمي في الحجة (١/ ٢٣٢)، ونقله شيخ الإسلام ابن تيمية كما في الفتاوى (٥/ ١٩١) .

(٢) الاختلاف في اللفظ والرد على الجهمية والمشبهة (ص : ٥٣) .

(٣) أوردهما مرعي الكرمي في أقاويل الثقات (ص : ١٢١)، والسفاريني في لوامع الأنوار (١/ ٢٠٠) .

ومن جميل ما قيل في هذا شعراً قول الناظم :

« على عرشه الرحمن سبحانه استوى
كما أخبر القرآن والمصطفى روى
وذاك استواء لائق بجلاله
وأبرأ من قولي له العرش قد حوى
فمن قال مثل الفلك كان استواؤه
على جبل الجودي من شاهق هوى
ومن يتبع ما قد تشابه يبتغي
به فتنة أو يبغِ تأويله غوى
فلم أقل : استولى ولست مكلّفاً
بتأويله كلا ولم أقل احتوى
ومن قال لي كيف استوى ؟، لا أجيبه
بشيء سوى أني أقول له : استوى »[1]

(١) انظر : الكواكب الدرية لابن مانع (ص : ٢٨) . وانظر جلاء العينين للألوسي (ص : ٤٦٦ ـ ٤٦٧) وقد نسبها لعصريه الشاعر الأديب عبدالباقي أفندي الفاروقي .

المبحث الرابع
ذكر كلام أهل العلم في التنويه بهذا الأثر، وتأكيدهم على أهميته، وجعله قاعدة من قواعد توحيد الأسماء والصفات

لا ريب في صحة هذا الأثر وثبوته عن إمام دار الهجرة الإمام مالك بن أنس ـ رحمه الله ـ، وحسنه وقوّة دلالته، وقد تلقّاه أهل العلم بالقبول، واستحسنوه واستجادوه، واعتبروه من أحسن جواب وأنبل جواب قيل في هذه المسألة، وجعلوه قاعدة من قواعد توحيد الأسماء والصفات تطبق في جميع الصفات، فيُقال في كلِّ صفة ما قاله الإمام مالك ـ رحمه الله ـ في صفة الاستواء، وقد سبق أن مرّ معنا في مبحث مستقلّ تخريج هذا الأثر وبيان ثبوته عن الإمام مالك ـ رحمه الله ـ .

وسأتناول في هذا المبحث أمرين :

١ ـ ذكر بعض النقول عن أهل العلم في استحسانه والثناء عليه .

٢ ـ ذكر بعض النقول عنهم في عدِّهم له قاعدة من قواعد توحيد الأسماء والصفات .

أولاً : أما كلام أهل العلم في استحسانه واستجادته وتلقيه بالقبول فكثير جدًّا، ولهذا لا يخلو في الغالب كتاب من كتب العقيدة لأهل السنة والجماعة من ذكر هذا الأثر والاستشهاد به

والثناء عليه .

ومما جاء عن أهل العلم في الثناء على هذا الأثر واستحسانه ما يلي :

١ ـ قال الإمام أبو سعيد الدارمي عقِب روايته لهذا الأثر في كتابه الرد على الجهمية : « وصدق مالك، لا يُعقل منه كيف، ولا يُجهل منه الاستواء، والقرآن ينطق ببعض ذلك في غير آية »[١] .

٢ ـ وقال شيخ الإسلام ابن تيمية : « وقول مالك من أنبل جواب وقع في هذه المسألة وأشدّه استيعاباً؛ لأنَّ فيه نبذ التكييف وإثبات الاستواء المعقول، وقد ائتمَّ أهل العلم بقوله واستجادوه واستحسنوه »[٢] .

وقال أيضاً : « وقد تلقى الناس هذا الكلام بالقبول، فليس في أهل السنة من ينكره »[٣] .

وقال أيضاً : « فإنَّه قد رُوي من غير وجه أنَّ سائلاً سأل مالكاً عن قوله : ﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴾ كيف استوى ؟،

---

(١) الرد على الجهمية للدارمي (ص : ٥٦) .
(٢) مجموع الفتاوى (٥/٥٢٠)، شرح حديث النزول (ص : ٣٩١)، ومن المحتمل أن يكون من كلام أبي عمر الطلمنكي .
(٣) مجموع الفتاوى (١٣/٣٠٩) .

فأطرق مالك حتى علاه الرحضاء ثم قال : الاستواء معلوم، والكيف مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة وما أراك إلا رجل سوء، ثم أمر به فأُخرج، ومثل هذا الجواب ثابت عن ربيعة شيخ مالك، وقد رُوي هذا الجواب عن أمِّ سلمة ـ رضي الله عنها ـ موقوفاً ومرفوعاً، ولكن ليس إسناده مما يُعتمد عليه، وهكذا سائر الأئمة قولهم يُوافق قول مالك في أنّا لا نعلم كيفية استوائه كما لا نعلم كيفية ذاته، ولكن نعلم المعنى الذي دلَّ عليه الخطاب، فنعلم معنى الاستواء، ولا نعلم كيفيته، وكذلك نعلم معنى النزول ولا نعلم كيفيته، ونعلم معنى السمع والبصر والعلم والقدرة، ولا نعلم كيفية ذلك، ونعلم معنى الرحمة والغضب والرضا والفرح والضحك ولا نعلم كيفية ذلك »[(١)].

٣ ـ وقال الذهبي ـ رحمه الله ـ : « هذا ثابت عن مالك، وتقدّم نحوه عن ربيعة شيخ مالك، وهو قول أهل السنة قاطبة، أنَّ كيفية الاستواء لا نعقلها، بل نجهلها، وأنَّ استواءه معلوم كما أخبر في كتابه، وأنّه كما يليق به، ولا نتعمّق ولا نتحذلق، ولا نخوض في لوازم ذلك نفياً ولا إثباتاً، بل نسكت ونقف كما وقف السلف، ونعلم أنّه لو كان له تأويل لبادر إلى بيانه الصحابة والتابعون، ولما وسعهم إقراره وإمراره والسكوت

---

(١) مجموع الفتاوى (٥/ ٣٦٥) .

عنه، ونعلم يقيناً مع ذلك أنَّ الله ـ جلَّ جلاله ـ لا مثل له في صفاته، ولا في استوائه، ولا في نزوله، سبحانه وتعالى عمّا يقول الظالمون علواً كبيراً »(١).

٤ ـ وقال أبو المعالي الجويني في الرسالة النظامية في الأركان الإسلامية : « ومما استُحسن من كلام مالك أنّه سُئل عن قوله تعالى: ﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴾ : كيف استوى؟، فقال : الاستواء معلوم، والكيف مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة، فَلْتُجْرَ آية الاستواء والمجيء وقوله : ﴿ خَلَقْتُ بِيَدَيَّ ﴾ [ص : ٧٥]، وقوله : ﴿ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ﴾ [الرحمن : ٢٧]، وقوله : ﴿ تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا ﴾ [القمر : ١٤]، وما صح من أخبار الرسول كخبر النزول وغيره على ما ذكرنا »(٢).

٥ ـ وقال الإمام البغوي في تفسيره : « فأمّا أهل السنة يقولون : الاستواء على العرش صفة الله تعالى بلا كيف، يجب على الرجل الإيمان به، ويكِلُ العلم فيه إلى الله عز وجل،

---

(١) مختصر العلو (ص : ١٤١، ١٤٢) .
(٢) العقيدة النظامية (ص : ٢٥)، ونقله ابن القيم في إعلام الموقعين (٤/٢٤٦، ٢٤٧) .
وإن كان أبو المعالي قد مال في رسالته هذه إلى تفويض المعاني، وهو آخر قوليه وظنَّ أنَّ ذلك هو مذهب السلف كمالك وغيره، انظر : درء التعارض لابن تيمية (٥/٢٤٩) .

وسأل رجل مالك بن أنس عن قوله: ﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴾: كيف استوى ؟، فأطرق رأسه مليًا وعلاه الرَّحضاء ثم قال: « الاستواء غير مجهول، والكيف غير معقول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة، وما أظنك إلاَّ ضالاًّ، ثم أمر به فأُخرج، وروي عن سفيان الثوري، والأوزاعي، والليث بن سعد، وسفيان بن عيينة، وعبدالله بن المبارك، وغيرهم من علماء السنة في هذه الآيات التي جاءت في الصفات المتشابهات: أمِرّها كما جاءت بلا كيف »[١].

٦ ـ وقال ملا علي القاري: « ونِعم ما قال الإمام مالك ـ رحمه الله ـ حيث سُئل عن ذلك الاستواء، فقال: الاستواء معلوم، والكيف مجهول، والسؤال عنه بدعة، والإيمان به واجب، وهذه طريقةُ السلف وهي أسلم، والله أعلم »[٢].

ومع ذلك فقد قال بعض جُهّال المعاصرين بعد محاولة فاشلة لتضعيف هذا الأثر: « وعلى أيٍّ فالقضية تبقى رأياً من عالم غير ملزم للناس ولا قاطع للجدل والفهم، ولا محدد لفهم واحد، بل لكلّ متّسع فيما يرى »[٣].

---

(١) معالم التنزيل (٢/ ١٦٥).
(٢) شرح الفقه الأكبر (ص : ٣٨) وإن كان قد فهم منه تفويض المعنى على طريقة المؤولّة.
(٣) انظر : هامش كتاب « رسائل محمد نسيب الرفاعي ـ رحمه الله ـ » =

فالجهمي له متسع، والمعتزلي له متسع، والأشعري له متّسع، فالله وحده المستعان .

ثانياً : أما عدّ أهل العلم لهذا الأثر قاعدة من قواعد توحيد الأسماء والصفات فمن ذلك :

١ ـ قال شيخ الإسلام ابن تيمية : « فإذا قال السائل : كيف استوى على العرش ؟، قيل له كما قال ربيعة ومالك وغيرهما ـ رضي الله عنهما ـ : الاستواء معلوم، والكيف مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عن الكيفية بدعة؛ لأنه سؤال عما لا يعلمه البشر، ولا يمكنهم الإجابة عنه .

وكذلك إذا قال : كيف ينزل ربنا إلى السماء الدنيا ؟، قيل له : كيف هو ؟، فإذا قال : لا أعلم كيفيته، قيل له : ونحن لا نعلم كيفية نزوله؛ إذ العلم بكيفية الصفة يستلزم العلم بكيفية الموصوف، وهو فرع له وتابع له، فكيف تطالبني بالعلم بكيفية سمعه وبصره، وتكليمه، واستوائه ونزوله، وأنت لا تعلم كيفية ذاته » ؟ ![1] .

وقال أيضاً : « ومن أوّل الاستواء بالاستيلاء فقد أجاب بغير ما أجاب به مالك وسلك غير سبيله، وهذا الجواب من

= بقلم : حسان عبدالمنان، طبع المكتب الإسلامي، الأولى، (١٤١٤ هـ) .

(١) مجموع الفتاوى (٣/ ٢٥) .

مالك ـ رحمه الله ـ في الاستواء شاف كاف في جميع الصفات مثل : النزول والمجيء، واليد، والوجه، وغيرها، فيقال في مثل النزول : النزول معلوم، والكيف مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة، وهكذا يقال في سائر الصفات؛ إذ هي بمثابة الاستواء الوارد به الكتاب والسنة »(١).

٢ ـ وقال العلامة ابن القيم ـ رحمه الله ـ : « وهذا الجواب من مالك رضي الله عنه شاف، عام في جميع مسائل الصفات، فمن سأل عن قوله : ﴿ إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسۡمَعُ وَأَرَىٰ ﴾ [طه : ٤٦] كيف يسمع ويرى ؟، أُجيب بهذا الجواب بعينه، فقيل له : السمع والبصر معلوم، والكيف غير معقول، وكذلك من سأل عن العلم، والحياة، والقدرة، والإرادة، والنزول، والغضب، والرضى، والرحمة، والضحك، وغير ذلك، فمعانيها كلها مفهومة، وأما كيفيتها فغير معقولة؛ إذ تعقل الكيفية فرع العلم بكيفية الذات وكنهها، فإذا كان ذلك غير معقول للبشر، فكيف يعقل لهم كيفية الصفات ؟! .

والعصمة النافعة في هذا الباب : أن يوصف الله بما وصف به نفسه، وبما وصفه به رسوله ﷺ من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تكييف ولا تمثيل، بل تُثْبِتُ له الأسماء

---

(١) مجموع الفتاوى (٤/٤) .

والصفات، وتنفِي عنه مشابهة المخلوقات .

فيكون إثباتُك منزَّهاً عن التشبيه، ونفيُك منزَّهاً عن التعطيل، فمن نفى حقيقة الاستواء فهو معطِّل، ومن شبّهه باستواء المخلوق على المخلوق فهو ممثِّل، ومن قال : استواء ليس كمثله شيءٌ فهو الموحِّد المنزِّه .

وهكذا الكلام في السمع والبصر والحياة والإرادة والقدرة واليد والوجه والرضى والغضب والنزول والضحك، وسائر ما وصف الله به نفسه »[١] .

٣ ـ وقال الشيخ العلاّمة عبدالرحمن بن سعدي ـ رحمه الله ـ : « سُئل الإمام مالك ـ رحمه الله ـ وغيره من السلف عن قوله تعالى : ﴿ ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ﴾ : كيف الاستواء ؟، فقال : الاستواء معلوم، والكيف مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة، فبيّن أنَّ الاستواء معلوم، وأنَّ كيفية ذلك مجهول، وهكذا يُقال في كلِّ ما وصف الله به نفسه »[٢] .

٤ ـ وقال الشيخ العلامة محمد الأمين الشنقيطي : « واعلموا أنّ آيات الصفات كثير من الناس يُطلق عليها اسم المتشابه وهذا من جهة غلطٌ، ومن جهة قد يسوغ كما يثبته

---

(١) مدارج السالكين (٢/٨٦) .
(٢) طريق الوصول إلى العلم المأمول (ص : ٨) .

الإمام مالك بن أنس، أما المعاني فهي معروفة عند العرب كما قال الإمام مالك بن أنس - رحمه الله - : « الاستواء غير مجهول، والكيف غير معقول، والسؤال عنه بدعة »، كذلك يقال في النزول : النزول غير مجهول، والكيف غير معقول، والسؤال عنه بدعة، واطّرده في جميع الصفات؛ لأنَّ هذه الصفات معروفة عند العرب، إلاّ أنَّ ما وصف به خالق السموات والأرض منها أكمل وأجلّ وأعظم من أن يشبه شيئاً من صفات المخلوقين، كما أنَّ ذات الخالق - جلّ وعلا - حق والمخلوقون لهم ذوات، وذات الخالق - جلّ وعلا - أكمل وأنزه وأجلّ من أن تشبه شيئاً من ذوات المخلوقين »[1].

---

(١) منهج ودراسات لآيات الأسماء والصفات (ص : ٢١) .

الفصل الثاني
في ذكر معنى هذا الأثر وبيان مدلوله وما يُستفاد منه من ضوابط في توحيد الأسماء والصفات

لا شك أنَّ هذا الأثر يتضمّن معاني عميقة ودلالات دقيقة ويشتمل على فوائد عظيمة ودروس قوية متعلّقة بتوحيد الأسماء والصفات، بل بالمنهج الذي ينبغي أن يكون عليه المسلم في أمور الغيب عموماً، ومن هنا حاز هذا الأثر على استحسان أهل العلم وثنائهم، وكثر استشهادهم به في مؤلّفاتهم، ولهذا رأيتُ إفراد هذا الفصل لبيان معاني هذا الأثر ودلالاته وما يستفاد منه من دروس وضوابط .

ولما كان هذا الأثر ينتظم جُملاً أربعاً رأيت أن أفرد لكل جملة منها مبحثاً مستقلاً لبيان ما فيها من دروس وفوائد .

المبحث الأوّل : في معنى قوله : « الاستواء غير مجهول » والضوابط المستفادة منه .

المبحث الثاني : في معنى قوله : « الكيف غير معقول » والضوابط المستفادة منه .

المبحث الثالث : في معنى قوله : « الإيمان به واجب » والضوابط المستفادة منه .

المبحث الرابع : في معنى قوله : « والسؤال عنه بدعة » والضوابط المستفادة منه .

المبحث الأوّل : في معنى قوله : « الاستواء غير مجهول » والضوابط المستفادة منه :

مراد الإمام مالك رحمه الله بقوله : « الاستواء غير مجهول » ظاهرٌ بيِّنٌ، حيث قصد رحمه الله أنَّ الاستواء معلوم في لغة العرب، وقد سبق أن نقلت في مبحث سابق[١] جملةً من النقولات عن أئمة السلف رحمهم الله في معنى الاستواء وأنَّ المراد به في اللغة : العلوّ والارتفاع، وهو من الصفات السمعية المعلومة بالخبر، وهو علوٌّ وارتفاعٌ مخصوصٌ وقع بمشيئة الربّ تبارك وتعالى وإرادته، فعلاً سبحانه وتعالى فوق عرشه كيف شاء سبحانه « فالأصل أنَّ علوّه على المخلوقات وصفٌ لازمٌ له كما أنَّ عظمته وكبرياءه وقدرته كذلك، وأما الاستواء فهو فعلٌ يفعله سبحانه وتعالى بمشيئته وقدرته؛ ولهذا قال فيه: ﴿ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ﴾؛ ولهذا كان الاستواء من الصفات السمعية المعلومة بالخبر، وأما علوّه على المخلوقات فهو عند أئمّة أهل الإثبات من الصفات العقلية المعلومة بالعقل مع السمع »[٢].

---

(١) انظر : (ص : ٢٦ ـ ٢٩) .
(٢) مجموع الفتاوى (٥/ ٥٢٣) .

والاستواء كما تقدّم له معنى معلوم من لغة العرب وهو العلوّ والارتفاع، لكن ما يضاف إلى الله منه فهو أمرٌ يليق بجلاله وكماله سبحانه لا يشبه ما يكون من المخلوقين، ولا يجوز أن يثبت لفوقيته خصائص فوقية المخلوقين وملزوماتها كقولهم : لو كان على العرش لكان محتاجاً إليه، ولو سقط العرش لخرّ مَن عليه، سبحانه وتعالى عما يقول الظالمون الجاحدون علوًّا كبيراً؛ لأنَّ الله تبارك وتعالى أضاف الاستواء إلى نفسه الكريمة كما أضاف إليه سائر أفعاله وصفاته، فلم يذكر استواء مطلقاً يصلح للمخلوقين ولا عامًّا يتناول المخلوق، وإنما ذكر استواءً أضافه إلى نفسه الكريمة[١] .

فكيف يُتوهَّم أو يُظنّ فيما أضاف الرب سبحانه إلى نفسه أنَّه يشبه ما هو من خصائص المخلوقين، ومن المعلوم أنَّ الإضافة تقتضي التخصيص، فما يُضاف إلى الربّ يخصُّه ويليق بجلاله وكماله، وما يُضاف إلى المخلوق يخصُّه ويليق به وبكونه مخلوقاً ضعيفاً عاجزاً .

فالاستواء المضاف إلى الربّ سبحانه معلومٌ معناه، وهو خاصٌّ بالربّ سبحانه لا يشبه وصف المخلوقين، فكما أنَّه سبحانه له ذاتٌ لا تشبه الذوات فله صفاتٌ لا تشبه الصفات،

---

(١) انظر : الرسالة التدمرية لابن تيمية (ص : ٨٣) .

فمن كان يقرُّ بأنَّ له ذاتاً حقيقة ثابتة في نفس الأمر مستوجبة لصفات الكمال لا يماثلها شيءٌ فله كذلك سمعٌ وبصرٌ وكلامٌ واستواء ونزول ثابتٌ في نفس الأمر، فهو سبحانه متّصفٌ بصفات الكمال التي لا يشابهه فيها سمعُ المخلوقين وبصرهم وكلامهم ونزولهم واستواؤهم . وكما أنّه لا علم للخلق بكيفية ذات الربّ سبحانه فلا علم لهم بكيفية صفاته سبحانه؛ إذ العلم بكيفية الصفات يستلزم العلم بكيفية الموصوف، وهو فرعٌ عنه وتابع له[١].

ولهذا فإنَّ الصفات معلومة من حيث المعاني ومجهولة ومتشابهة من حيث الكيفية، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : « والآيات التي ذكر الله فيها أنّها متشابهات لا يعلم تأويلها إلاّ الله، إنّما نفى عن غيره علم تأويلها، لا علم تفسيرها ومعناها، كما أنّه لما سئل مالك رضي الله عنه عن قوله تعالى : ﴿ ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ﴾ كيف استوى ؟ قال : « الاستواء معلوم، والكيف مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة » ـ وكذلك ربيعة قبله ـ فبيّن مالك أنَّ معنى الاستواء معلوم، وأنَّ كيفيته مجهولة، فالكيف المجهول هو من التأويل الذي لا يعلمه إلاّ الله، وأما ما يُعلم من الاستواء وغيره

---

(١) انظر : الرسالة التدمرية لابن تيمية (ص : ٤٤، ٤٥) .

فهو من التفسير الذي بيَّنه الله ورسوله .

والله تعالى قد أمرنا أن نتدبّر القرآن، وأخبر أنّه أنزله لنعقله، ولا يكون التدبُّر والعقل إلاّ لكلام بيِّن المتكلِّم مراده به، فأما من تكلّم بلفظ يحتمل معاني كثيرة ولم يبيِّن مراده منها فهذا لا يمكن أن يُتدبّر كلامه ولا يعقل، ولهذا تجد عامة الذين يزعمون أنَّ كلام الله يحتمل وجوهاً كثيرةً، وأنَّه لم يبيِّن مراده من ذلك قد اشتمل كلامهم من الباطل على ما لا يعلمه إلاّ الله، بل في كلامهم من الكذب في السمعيات نظير ما فيه من الكذب في العقليات، وإن كانوا لم يتعمّدوا الكذب، كالمحدِّث الذي يغلط في حديثه خطأ، بل منتهى أمرهم : القرمطة في السمعيات، والسفسطة في العقليات، وهذان النوعان مجمع الكذب والبهتان »[١] .

ولهذا فقد مضى أهل السنة والجماعة قاطبة على إثبات الصفات للباري سبحانه، وفهم معناها ومدلولها فـ « التفاسير الثابتة المتواترة عن الصحابة والتابعين لهم بإحسان تبيِّن أنَّهم إنَّما كانوا يفهمون منها الإثبات، بل والنقول المتواترة المستفيضة عن الصحابة والتابعين في غير التفسير موافقة للإثبات، ولم يُنقل عن أحد من الصحابة والتابعين حرفٌ واحدٌ يوافق قول النفاة، ومن تدبّر الكتب المصنَّفة في آثار الصحابة

---

(١) درء التعارض (١/٢٧٨، ٢٧٩) .

والتابعين، بل المصنَّفة في السنة، من (كتاب السنة والرد على الجهمية) للأثرم، ولعبدالله بن أحمد، وعثمان بن سعيد الدارمي، ومحمد بن إسماعيل البخاري، وأبي داود السجستاني، وعبدالله بن محمد الجعفي، والحكم بن معبد الخزاعي، وحشيش بن أصرم النسائي، وحرب بن إسماعيل الكرماني، وأبي بكر الخلّال، ومحمد بن إسحاق بن خزيمة، وأبي القاسم الطبراني، وأبي الشيخ الأصبهاني، وأبي أحمد العسال، وأبي نعيم الأصبهاني، وأبي الحسن الدارقطني، وأبي حفص بن شاهين، ومحمد بن إسحاق بن منده، وأبي عبدالله بن بطة، وأبي عمر الطلمنكي، وأبي ذر الهروي، وأبي محمد الخلّال، والبيهقي، وأبي عثمان الصابوني، وأبي نصر السجزي، وأبي عمر بن عبدالبر، وأبي القاسم اللالكائي، وأبي إسماعيل الأنصاري، وأبي القاسم التيمي، وأضعاف هؤلاء رأى في ذلك من الآثار الثابتة المتواترة عن الصحابة والتابعين، ما يُعلم معه بالاضطرار أنَّ الصحابة والتابعين كانوا يقولون بما يوافق مقتضى هذه النصوص ومدلولها، وأنَّهم كانوا على قول أهل الإثبات المثبتين لعلوِّ الله نفسه على خلقه، المثبتين لرؤيته، القائلين بأنَّ القرآن كلامه ليس بمخلوق بائن عنه .

وهذا يصير دليلا من وجهين :

أحدهما : من جهة إجماع السلف، فإنَّهم يمتنع أن

يجمعوا في الفروع على خطأ، فكيف في الأصول ؟

الثاني : من جهة أنّهم كانوا يقولون بما يوافق مدلول النصوص ومفهومها، لا يفهمون منها ما يناقض ذلك .

ولهذا كان الذين أدركوا التابعين من أعظم الناس قولاً بالإثبات وإنكاراً لقول النفاة، كما قال يزيد بن هارون الواسطي : « من قال : إنَّ الله على العرش استوى خلاف ما يقرُّ في نفوس العامة فهو جهمي »(١) .

وقال الأوزاعي : « كنا ـ والتابعون متوافرون ـ نقرُّ بأن الله فوق عرشه ونؤمن بما وردت به السنة من صفاته »(٢) . . . »(٣) .

قال الإمام الصابوني رحمه الله : « وعلماء الأمة وأعيان

---

(١) رواه البخاري في خلق أفعال العباد (ص : ٢٤)، وعبدالله في السنة (١/ ١٢٣)، وأورده ابن القيم في اجتماع الجيوش (ص : ٨٤)، ثم نقل عن شيخ الإسلام في بيان معناه أنه قال : « والذي تقرّر في قلوب العامة هو ما فطر الله تعالى عليه الخليقة من توجّهها إلى ربِّها تعالى عند النوازل والشدائد والدعاء والرغبات إليه تعالى نحو العلوّ لا يلتفت يمنة ولا يسرة من غير موقف وقفهم عليه، ولكن فطرة الله التي فطر الناس عليها، وما من مولود إلا وهو يولد على هذه الفطرة حتى يجهمه وينقله إلى التعطيل من يقيّض له » .

(٢) رواه البيهقي في الأسماء والصفات (٢/ ٣٠٤)، قال شيخ الإسلام في الحموية (ص : ٢٣) : « بإسناد صحيح » .

(٣) درء التعارض (٧/ ١٠٨، ١٠٩) .

الأئمة من السلف رحمهم الله لم يختلفوا في أنَّ الله تعالى على عرشه وعرشه فوق سماواته، يُثبتون له من ذلك ما أثبته الله تعالى ويؤمنون به ويُصدِّقون الرب جلّ جلاله في خبره، ويُطلقون ما أطلقه سبحانه وتعالى من استوائه على العرش ويُمرُّونه على ظاهره ويَكِلون علمه إلى الله، ويقولون : ﴿ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ [آل عمران : ٧]، كما أخبر الله تعالى عن الراسخين في العلم أنَّهم يقولون ذلك ورَضِيَه منهم فأثنى عليهم به »[١].

وبما تقدّم يتّضح أنَّ مراد الإمام مالك رحمه الله بقوله : « الاستواء غير مجهول » أي غير مجهول المعنى، وأنّه ثابت لله حقيقة على وجه يليق بجلاله سبحانه .

قال ابن قدامة رحمه الله في كتابه ذم التأويل : « وقولهم : « الاستواء غير مجهول » أي غير مجهول الوجود؛ لأنَّ الله تعالى أخبر به، وخبرُه صدقٌ يقيناً لا يجوز الشك فيه، ولا الارتياب فيه، فكان غير مجهول لحصول العلم به، وقد روي في بعض الألفاظ « الاستواء معلوم »[٢] »[٣].

ولم يكن أحد من السلف رحمهم الله يتعرض لنصوص

---

(١) عقيدة السلف أصحاب الحديث (ص : ٣٧) .
(٢) كما في طريق ابن عيينة وقد مرّت .
(٣) ذم التأويل (ص : ٢٦) .

الاستواء أو غيره من الصفات بتأويل يصرف فيه هذه الألفاظ عن معانيها ودلالالتها المعلومة من لغة العرب .

روى اللالكائي في شرح الاعتقاد عن محمد بن الحسن صاحب أبي حنيفة أنَّه قال : « اتفق الفقهاء كلُّهم من المشرق إلى المغرب على الإيمان بالقرآن والأحاديث التي جاء بها الثقات عن رسول الله صلى ﷺ في صفة الربّ عز وجل، من غير تفسير ولا وصف ولا تشبيه، فمن فسّر اليوم شيئاً من ذلك فقد خرج عما كان عليه النبي ﷺ وفارق الجماعة، فإنَّهم لم يصفوا ولم يفسِّروا، ولكن أفتَوا بما في الكتاب والسنة ثم سكتوا، فمن قال بقول جَهمٍ فقد فارق الجماعة؛ لأنَّه قد وصفه بصفة لا شيء »[1].

وروى البيهقي وغيره عن أبي عبيد القاسم بن سلّام قال : هذه الأحاديث التي يقول فيها ضحِك ربُّنا مِن قنوط عباده وقُرْب خيره، وأنَّ جهنّم لا تمتلىء حتى يضع ربُّك فيها قدمَه، والكرسي موضِع القدمين، وهذه الأحاديث في الرؤية، هي عندنا حقٌّ حَمَلَها الثقات بعضهم عن بعض، غير أنّا إذا سُئلنا عن تفسيرها لا نفسِّرها، وما أدركنا أحداً يُفسِّرها »[2].

---

(١) شرح الاعتقاد (٣/ ٤٣٢) .

(٢) رواه البيهقي في الأسماء والصفات (٢/ ١٩٨) والدارقطني في الصفات (ص ٦٨) واللالكائي في شرح الاعتقاد (٣/ ٥٢٦)، والذهبي في =

فلم يكن مِن هؤلاء الأئمة مَن يخوض في صفات الله بشيء من التفسيرات الباطلة والتحريفات للنصوص، بل كانوا يمرُّونها كما جاءت بلا تحريف، فالمراد بقول محمد بن الحسن : « لم يُفسِّروا » وقول أبي عبيد « لا نفسِّرها، وما أدركنا أحداً يفسِّرها » نفي تحريف الصفات وصرفها عن ظاهرها الذي دلّت عليه لغة العرب كما هو الحال عند الجهمية، ولذا قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله بعد أن أورد كلام أبي عبيد المتقدِّم « فقد أخبر أنه ما أدرك أحداً من العلماء يفسِّرها تفسير الجهمية »[(١)] .

وتفسيرات الجهمية لهذه الصفة كثيرة جدًّا وهي تقارب العشرين، كما قال مرعي بن يوسف الكرمي : « وأما أهل التأويل من الخلَف فقد اختلفوا في الاستواء على نحو العشرين قولاً . . . »[(٢)] وذكرها .

وهي تأويلات متكلّفة وتحريفات بغيضة تأباها النصوص ويردّها سياق الأدلّة المشتملة على ذكر استواء الربّ تبارك وتعالى على عرشه[(٣)]، وكما يقول العلاّمة ابن القيِّم رحمه

= السير (١٠/ ٥٠٥)، وقال شيخ الإسلام ابن تيمية في الحموية (ص : ٣٠) : « بإسناد صحيح » .

(١) الحموية (ص : ٣٠) .

(٢) أقاويل الثقات (ص : ١٢٣) .

(٣) وقد تمادى هؤلاء في تحريف النصوص تبعاً لأهوائهم حتى إنّهم لم =

الله : « إن استواء الرب المعدى بأداة على المعلق بعرشه المعرّف باللاّم المعطوف بثمّ على خلق السماوات والأرض المطَّرَد في موارده على أسلوب واحد ونمط واحد، لا يحتمل إلاّ معنىً واحداً لا يحتمل معنيين ألبتة، فضلاً عن ثلاثة أو خمسة عشر كما قال صاحب (القواصم والعواصم) : إذا قال لك المجسّم ﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴾ فقل استوى على العرش يستعمل على خمسة عشر وجهاً فأيُّها تريد ؟ فيقال له : كَلاَّ والذي استوى على العرش لا يحتمل هذا اللفظ معنيين ألبتة، والمُدَّعي للاحتمال عليه بيان الدليل؛ إذ الأصل عدم الاشتراك والمجاز، ولم يذكر على دعواه دليلاً ولا بيّن الوجوه المحتملة حتى يصلح قوله « فأيُّها تريدون وأيُّها تعنون » وكان ينبغي له أن يبيِّن كلّ احتمال ويذكر الدليل على ثبوته، ثم يطالب حزب الله ورسوله ﷺ بتعيين أحد الاحتمالات، وإلاّ

= يدَعوا في بعض النصوص حرفاً إلا وطالته أيديهم بالتحريف لمعناه والتغيير لمراده وإخراجه عن حقيقته، ومن ذلك على سبيل المثال قوله تعالى : ﴿ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱلرَّحْمَٰنُ ﴾، فقالوا : ﴿ ثُمَّ ﴾ تُحمَلُ على معنى الواو وتجرّد عن معنى الترتيب، والاستواء المراد به الاستيلاء، والعرش كناية عن الملك، والرحمن لا يدل على وصفه بالرحمة، فأخرجوا ثم عن حقيقتها، والاستواء عن حقيقته، والعرش عن حقيقته، ولفظ الرحمن عن حقيقته، فركبوا تحريفات بعضها فوق بعض .
وانظر : مختصر الصواعق (ص : ٣٢٢) .

فهم يقولون لا نسلِّم احتماله لغير معنىً واحد، فإنَّ الأصل في الكلام الإفراد والحقيقة، دون الاشتراك والمجاز فهم في منعهم أولى بالصواب منك في تعدد الاحتمال؛ فدعواك أنَّ هذا اللفظ يحتمل خمسة عشر معنى دعوى مجرّدة ليست معلومة بضرورةٍ ولا نصٍ ولا إجماعٍ »(١).

إلاَّ أنَّ أشهر تأويلات هؤلاء وأكثرها ذيوعاً بينهم هو قولهم : إنَّ الاستواء المراد به الاستيلاء، وهو تأويل باطل وتحريف فاسد، أبطله أهل العلم من وجوه كثيرة، وفيما يلي تلخيص لبعض الوجوه التي ذكرها شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في إبطال هذا التأويل :

« أولاً : إنَّ هذا التفسير لم يفسّره أحدٌ من السلف من سائر المسلمين من الصحابة والتابعين، فإنَّه لم يفسِّره أحد في الكتب الصحيحة عنهم، بل أول من قال ذلك بعض الجهمية والمعتزلة، كما ذكره أبو الحسن الأشعري في كتاب المقالات وكتاب الإبانة .

ثانياً : إنَّ معنى هذه الكلمة مشهور، ولهذا لما سُئل ربيعة ابن أبي عبدالرحمن ومالك بن أنس عن قوله : ﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴾ ؟ قالا : الاستواء معلوم، والكيف مجهول،

(١) مختصر الصواعق (ص : ٣٣٣، ٣٣٤) .

والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة .

ثالثاً : إنَّه إذا كان معلوماً في اللغة التي نزل بها القرآن كان معلوماً في القرآن .

رابعاً : إنَّه لو لم يكن معنى الاستواء في الآية معلوماً لم يحتج أن يقول : الكيف مجهول؛ لأنَّ نفيَ العلم بالكيف لا ينفي إلاَّ ما قد عُلم أصله، كما نقول : إنَّا نقرُّ بالله ونؤمن به، ولا نعلم كيف هو .

خامساً : الاستيلاء سواء كان بمعنى القدرة أو القهر أو نحو ذلك هو عام في المخلوقات كالربوبية، فلو كان استوى بمعنى استولى، كما هو عام في الموجودات كلّها لجاز مع إضافته إلى العرش أن يُقال : استوى على السماء، وعلى الهوى، والبحار والأرض، وعليها ودونها ونحوها؛ إذ هو مستوٍ على العرش، فقد اتفق المسلمون على أنَّه يُقال استوى على العرش، ولا يُقال استوى على هذه الأشياء مع أنه يُقال استولى على العرش والأشياء، علم أنَّ معنى استوى خاص بالعرش ليس عاماً كعموم الأشياء .

سادساً : أنّه أخبر بخلق السماوات والأرض في ستة أيّام ثم استوى على العرش، وأخبر أنَّ عرشَه كان على الماء قبل خلقها، وثبت ذلك في صحيح البخاري عن عمران بن حُصين عن النبي ﷺ قال : « **كان الله ولا شيء غيره، وكان عرشه على**

الماء، وكتب في الذّكر كلَّ شيء ثم خلق السماوات والأرض »[١]، مع أنَّ العرش كان مخلوقاً قبل ذلك، فمعلوم أنَّه ما زال مستولياً عليه قبل وبعد، فامتنع أن يكون الاستيلاء العام هذا الاستيلاء الخاص بزمان كما كان مختصًّا بالعرش .

سابعاً : أنَّه لم يثبت أنَّ لفظ استوى في اللغة بمعنى استولى؛ إذ الذين قالوا ذلك عمدتهم البيت المشهور :

ثـم استـوى بِشـر علـى العـراق
مـن غيـر سيـفٍ ولا دم مهـراق

ولم يثبت نقل صحيح أنَّه شعر عربي، وكان غير واحد من أئمة اللغة أنكروه، وقالوا : إنَّه بيت مصنوع لا يُعرف في اللغة، وقد علم أنَّه لو احتجّ بحديث رسول الله ﷺ لاحتاج إلى صحته، فكيف بيت من الشعر لا يُعرف إسناده ؟! وقد طعن فيه أئمة اللغة، وذُكر عن الخليل كما ذكره أبو المظفر في كتابه الإفصاح قال : « سُئل الخليل هل وجدتَ في اللغة استوى بمعنى استولى ؟ فقال : هذا ما لا تعرفه العرب، ولا هو جائز في لغتها »[٢]. وهو إمام في اللغة على ما عرف من حاله،

---

(١) صحيح البخاري (٦/ ٢٨٦ ـ الفتح) .
(٢) وذكر نحو هذا عن أبي عبدالله بن الأعرابي، رواه عنه اللالكائي في شرح الاعتقاد (٣/ ٣٩٩) .

فحينئذ حمله على ما لا يُعرف حمل باطل .

ثامناً : أنَّه روي عن جماعة من أهل اللغة أنّهم قالوا : لا يجوز استوى بمعنى استولى إلاَّ في حقِّ من كان عاجزاً ثم ظهر، والله سبحانه لا يعجزه شيء، والعرش لا يغالبه في حال، فامتنع أن يكون بمعنى استولى، فإذا تبيّن هذا فقول الشاعر :

ثم استوى بِشر على العراق

لفظ مجازي لا يجوز حمل الكلام عليه إلاَّ مع قرينة تدل على إرادته، واللفظ المشترك بطريق الأولى، ومعلوم أنَّه ليس في الخطاب قرينة أنَّه أراد بالآية الاستيلاء .

وأيضاً فأهل اللغة قالوا : لا يكون استوى بمعنى استولى إلاَّ فيما كان منازعاً مغالباً، فإذا غلب أحدهما صاحبه قيل : استولى، والله لم ينازعه أحد في العرش، فلو ثبت استعماله في هذا المعنى الأخص مع النزاع في إرادة المعنى الأعم لم يجب حمله عليه بمجرّد قول بعض أهل اللغة مع تنازعهم فيه، وهؤلاء ادّعوا أنَّه بمعنى استولى في اللغة مطلقاً .

تاسعاً : أنَّ معنى الاستواء معلوم علماً ظاهراً بين الصحابة والتابعين وتابعيهم، فيكون التفسير المحدث بعده باطلاً قطعاً، وهذا قول يزيد بن هارون الواسطي، فإنَّه قال : « إنَّ من قال : ﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴾ خلاف ما تقرّر في نفوس العامة

فهو جهمي »[١]، ومنه قول مالك : الاستواء معلوم، وليس المراد أنَّ هذا اللفظ في القرآن معلوم كما قال بعض الناس : استوى أم لا ؟ أو أنَّه سُئل عن الكيفية ومالك جعلها معلومة، والسؤال عن النزول ولفظ الاستواء ليس بدعة ولا الكلام فيه؛ فقد تكلّم فيه الصحابة والتابعون، وإنَّما البدعة السؤال عن الكيفية »[٢].

وقد أبطل العلاّمة ابن القيم هذا التأويل الفاسد في كتابه الصواعق المرسلة من اثنين وأربعين وجهاً، فلم يدَعْ رحمه الله لمبطل متعلّقاً[٣].

فإذا تبيّن فساد هذا التأويل الذي هو أشهر تأويلات هؤلاء؛ فإنَّ ما سواه من التأويلات أشدّ فساداً وأكثر بعداً عن الحق والصواب .

وقبل أن أختم هذا المبحث أودّ التنبيه على أمرين :

الأول : كلام القاضي أبي يعلى في كتابه إبطال التأويلات بعد أن ذكر أثر أم سلمة في آية الاستواء حيث قال : « فقد صرّحت بالقول بالاستواء غير معقول، وهذا يمنع تأويله على

---

(١) تقدّم تخريجه (ص : ١١٥) .
(٢) مجموع الفتاوى (٥/ ١٤٤ ـ ١٤٩) باختصار .
(٣) انظر : مختصر الصواعق المرسلة (ص : ٣١٩ وما بعدها) .

العلوّ والاستيلاء »[١].

قال هذا رحمه الله، مع أنَّ لفظ الأثر عنده « الاستواء غير مجهول » أي غير مجهول المعنى ـ وهو العلو والارتفاع كما تقدّم ـ فكيف يُقال : إنَّه يمتنع تأويله بالعلوّ، مع أنَّ هذا هو معنى اللفظ في لغة العرب .

الثاني : قول القرطبي بعد أن نقل ما قيل في معنى الاستواء حيث قال : « أظهر الأقوال ـ وإن كنتُ لا أقول به ولا أختاره ـ ما تظاهرت عليه الآي والأخبار والفضلاء الأخيار أنَّ الله سبحانه على عرشه كما أخبر في كتابه بلا كيف بائنٌ من جميع خلقه، هذا جملة مذهب السلف الصالح »[٢].

فهو كلام غريب من مثله رحمه الله؛ إذ كيف يكون على علم بتظاهر الآيات عليه وقول الفضلاء الأخيار به وأنَّه مذهب السلف الصالح ثم يصرّح بأنَّه لا يقول به ولا يختاره، ﴿ فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ ﴾، ولذا قال السفاريني رحمه الله بعد أن نقل كلامه هذا : « وفي قوله رحمه الله : « وإن كنتُ لا أقول به » غاية العجب؛ لأنَّه اعترف بتظافر الآيات القرآنية عليه

---

(١) إبطال التأويلات (١/ ٧١) .

(٢) ذكره في كتابه الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى، ونقله مرعي الكرمي في أقاويل الثقات (ص : ١٣٢)، والسفاريني في لوائح الأنوار السنية (١/ ٣٦٤) .

ودلالة الأخبار النبوية إليه، وتعويل السلف الصالح الأخيار عليه، فكيف يليق من مثله أن يقول : « وإن كنتُ لا أقول به ولا أختاره » من الدلالات القرآنية والأحاديث النبوية، وكونه معتقد الرعيل الأول والحزب الذي عليه المعوَّل . . . »[١].

وبالله وحده التوفيق .

المبحث الثاني : في معنى قوله : « والكيف غير معقول » والضوابط المستفادة منه :

قول الإمام مالك رحمه الله في الاستواء : « والكيف غير معقول » هو نظير قول غير واحد من أئمة السلف في إثبات الصفات عموماً : « بلا كيف »، وقد سبق نقل بعض ألفاظهم في ذلك ومنها غير ما تقدّم :

- قول سفيان بن عيينة : « كلُّ شيء وصف الله به نفسه في القرآن فقراءته تفسيره ولا كيف ولا مثل »[٢].

- وقول وكيع : « نسلم هذه الأحاديث كما جاءت ولا نقول كيف هذا، ولِمَ جاء هذا »[٣].

---

(١) لوائح الأنوار السنية (١/ ٣٦٤)، وانظر : أقاويل الثقات لمرعي الكرمي (ص : ١٣٢) .
(٢) رواه الدارقطني في الصفات (ص : ٧٠) .
(٣) رواه الدارقطني في الصفات (ص : ٧١) .

وسبق أن مرَّ معنا قول مالك نفسه رحمه الله، وغيره من أئمة السلف في الصفات : « أَمِرُّوها كما جاءت بلا كيف » .

قال شيخ الإسلام : « فقول ربيعة ومالك : « الاستواء غير مجهول، والكيف غير معقول، والإيمان به واجب » موافق لقول الباقين : « أمرُّوها كما جاءت بلا كيف » فإنَّما نفوا علم الكيفية ولم ينفوا حقيقة الصفة، ولو كان القوم قد آمنوا باللفظ المجرّد من غير فهم لمعناه على ما يليق بالله لما قالوا : « الاستواء غير مجهول، والكيف غير معقول »، ولما قالوا : « أمرُّوها كما جاءت بلا كيف »؛ فإنَّ الاستواء حينئذ لا يكون معلوماً بل مجهول بمنزلة حروف المعجم وأيضاً فإنَّه لا يحتاج إلى نفي علم الكيفية إذا لم يفهم عن اللفظ معنى، إنّما يحتاج إلى نفي علم الكيفية إذا أثبتت الصفات، وأيضاً فإنَّ من ينفي الصفات الجزئية ـ أو الصفات مطلقاً ـ لا يحتاج إلى أن يقول : « بلا كيف » فمن قال : إنَّ الله ليس على العرش، لا يحتاج أن يقول : بلا كيف، فلو كان مذهب السلف نفي الصفات في نفس الأمر لما قالوا : بلا كيف . وأيضاً فقولهم : « أمرُّوها كما جاءت » يقتضي إبقاء دلالَتِها على ما هي عليه، فإنها جاءت ألفاظاً دالة على معاني، فلو كانت دلالتها منتفية لكان الواجب أن يُقال : أمرّوا لفظها مع اعتقاد أنَّ المفهوم منها غير مراد، أو أمرّوا لفظها مع اعتقاد أنَّ الله لا يوصف بما دلّت عليه

حقيقة، وحينئذ تكون قد أُمِرّت كما جاءت، ولا يُقال حينئذ : « بلا كيف »؛ إذ نفي الكيف عما ليس بثابت لغوٌ من القول »[١].

وقول السلف رحمهم الله : « الكيف مجهول » أو « بلا كيف » يتضمّن عدّة فوائد أُجملها فيما يلي :

١ ـ قطع طمع العقل في إدراك كيفية صفات الله، وأنَّ ذلك غير ممكن « ومهما تصوّر في وهمك فالله بخلاف ذلك »[٢].

٢ ـ أنّهم نفوا علمنا بالكيفية، ولم ينفوا أن يكون في نفس الأمر كيفية لا يعلمها إلاّ هو سبحانه « ونفي الشيء غير نفي العلم به »[٣] « ولم يقل مالك : الكيف معدوم، وإنما قال الكيف مجهول »[٤].

٣ ـ عدم العلم بالكيفية لا يقدح في الإيمان بالصفات .

٤ ـ إثبات الصفة لله حقيقة؛ لأنَّ من ينفي الصفات ولا يثبتها لا يحتاج أن يقول : « بلا كيف » .

٥ ـ أنَّ العلم بكيفية الشيء تكون برؤيته أو رؤية نظيره أو الخبر الصادق عنه، والمؤمنون لن يرى أحدٌ منهم ربَّه في الدنيا، والله تبارك وتعالى لا نظير له، ولم يأت في الخبر

---

(١) الحموية (ص : ٢٥) .
(٢) سير أعلام النبلاء (١١/ ٥٣٥) وهو من كلام ذي النون المصري .
(٣) نقض التأسيس (١/ ١٩٨) .
(٤) مجموع الفتاوى (١٣/ ٣٠٩) .

الصادق ذكر لكيفية صفات الباري سبحانه .

٦ ـ إمكانية العلم بكيفية الصفة عند رؤية الله في الآخرة .

٧ ـ بطلان قول المعتزلة وغيرهم الذين ينفون أن يكون له ماهية وحقيقة وراء ما علموه .

٨ ـ التوقّف عند النصوص وما دلّت عليه وعدم تجاوزها فالكيف مجهول؛ « لأنَّه لم يرد به توقيف ولا سبيل إلى معرفته بغير توقيف »[١].

٩ ـ الردّ على الممثّلة؛ لأن كلَّ ممثّل مكيّف .

١٠ ـ أنَّ إثبات أهل السنة والجماعة للصفات هو إثبات وجود لا إثبات تحديد وتكييف، فالمؤمن مُبصِرٌ بها من وجه، أعمى من وجه آخر .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : « المشهور بين أهل السنة والجماعة أنَّه لا يُقال في صفات الله عز وجل « كيف » ولا في أفعاله « لِمَ » وقد ذكرنا في غير هذا الموضع أنَّ السلف والأئمة نفوا علمنا الآن بكيفيته، كقول مالك رحمه الله : « الاستواء معلوم، والكيف مجهول » . لم ينفوا أن يكون في نفس الأمر له حقيقة يعلمها هو، وتكلّمنا على إمكان العلم بها عند رؤيته في الآخرة أو غير ذلك؛ لكن كثيراً من الجهمية من المعتزلة وغيرهم ينفون أن

---

(١) ذم التأويل لابن قدامة (ص : ٢٦) .

يكون له ماهية وحقيقة وراء ما علموه »[١].

وقال ابن القيم رحمه الله : « ومراد السلف بقولهم : « بلا كيف » هو نفي للتأويل، فإنَّه التكييف الذي يزعمه أهل التأويل، فإنَّهم هم الذين يثبتون كيفيةً تخالف الحقيقة فيقعون في ثلاثة محاذير : نفي الحقيقة، وإثبات التكييف بالتأويل، وتعطيل الرب تعالى عن صفته التي أثبتها لنفسه، وأما أهل الإثبات فليس أحد منهم يكيّف ما أثبته الله تعالى لنفسه، ويقول : كيفية كذا وكذا، حتى يكون قول السلف « بلا كيف » ردًّا عليه، وإنّما ردّوا على أهل التأويل الذي يتضمّن التحريف والتعطيل، تحريف اللفظ وتعطيل معناه »[٢].

وقال أيضاً : « إنَّ العقل قد يئس من تعرّف كُنه الصفة وكيفيتها، فإنَّه لا يعلم كيف الله إلاَّ الله، وهذا معنى قول السلف « بلا كيف » أي : بلا كيف يعقله البشر، فإنَّ من لا تعلم حقيقة ذاته وماهيته، كيف تعرف كيفية نعوته وصفاته ؟ ولا يقدح ذلك في الإيمان بها، ومعرفة معانيها، فالكيفية وراء ذلك، كما أنا نعرف معاني ما أخبر الله به من حقائق ما في اليوم الآخر، ولا نعرف حقيقة كيفيته، مع قرب ما بين

---

(١) نقض التأسيس (١/ ١٩٧)، وانظر : درء التعارض (٢/ ٣٥) .
(٢) اجتماع الجيوش الإسلامية (ص : ٧٧) .

المخلوق والمخلوق، فعَجْزُنا عن معرفة كيفية الخالق وصفاته أعظم وأعظم .

فكيف يطمع العقل المخلوق المحصور المحدود في معرفة كيفية من له الكمال كلّه، والجمال كلّه، والعلم كلُّه، والقدرة كلّها، والعظمة كلّها، والكبرياء كلّها ؟ من لو كُشف الحجاب عن وجهه لأحرقت سبحاته السماوات والأرض وما فيهما وما بينهما، وما وراء ذلك، الذي يقبض سماواته بيده فتغيب كما تغيب الخردلة في كفِّ أحدنا، الذي نسبة علوم الخلائق كلّها إلى علمه أقلُّ من نسبة نقْرة عصفور من بحار العلم الذي لو أنَّ البحر يمدُّه من بعده سبعة أبحر مداد وأشجار الأرض من حين خلقت إلى قيام الساعة أقلام، لفَنِيَ المداد وفنيت الأقلام، ولم تنفد كلماته، الذي لو أنَّ الخلق من أول الدنيا إلى آخرها، إنسهم وجنّهم، وناطقهم وأعجمهم، جُعلوا صفًّا واحداً ما أحاطوا به سبحانه، الذي يضع السماوات على إصبع من أصابعه، والأرض على إصبع، والجبال على إصبع، والأشجار على إصبع، ثمّ يهزّهنَّ، ثم يقول : أنا الملك .

فقاتل الله الجهمية والمعطِّلة ! أين التشبيه ها هنا ؟ وأين التمثيل ؟ لقد اضحملَّ ها هنا كلُّ موجود سواه، فضلاً عن أن يكون له ما يماثله في ذلك الكمال، ويشابهه فيه، فسبحان من حجب عقول هؤلاء عن معرفته، وولاّها ما تولّت من وقوفها

مع الألفاظ التي لا حرمة لها، والمعاني التي لا حقائق لها .

ولما فهمت هذه الطائفة من الصفات الإلهية ما تفهمه من صفات المخلوقين، فرَّت إلى إنكار حقائقها، وابتغاء تحريفها، وسمَّته تأويلاً، فشبّهت أوّلاً، وعطّلت ثانياً، وأساءت الظنَّ بربِّها وبكتابه وبنبيِّه، وبأتباعه »[١] .

ثم بيّن رحمه الله وجه إساءة هؤلاء الظنّ بربِّهم وكتابه ونبيّهم وأتباعه .

وقال الجويني في رسالته (النصيحة في صفات الرب جلَّ وعلا) : « وصفاته معلومة من حيث الجملة والثبوت، غير معقولة له من حيث التكييف والتحديد، فيكون المؤمن بها مبصراً من وجه، أعمى من وجه، مبصراً من حيث الإثبات والوجود، أعمى من حيث التكييف والتحديد، وبهذا يحصل الجمع بين الإثبات لما وصف الله به نفسه، وبين نفي التحريف والتشبيه والوقوف، وذلك هو مراد الله تعالى مِنّا في إبراز صفاته لنا لنعرفه بها، ونؤمن بحقائقها وننفي عنها التشبيه، ولا نعطلها بالتحريف والتأويل، لا فرق بين الاستواء والسمع، ولا بين النزول والبصر؛ لأنَّ الكلَّ ورد في النص »[٢] .

---

(١) مدارج السالكين (٣/ ٣٥٩، ٣٦٠) .

(٢) النصيحة في صفات الرب جلَّ وعلا للجويني (الصلاة : ٣٩، ٤٠)، وانظر : ذمّ التأويل لابن قدامة (ص : ١٥) .

فهذا هو مراد السلف رحمهم الله بقولهم : « بلا كيف » .

ومع ذلك فقد قال الزمخشري المعتزلي في كشافه : « ثم تعجب من المتسمّين بالإسلام، المتسمّين بأهل السنة والجماعة كيف اتخذوا هذه العظيمة[1] مذهباً، ولا يغرّنك تستّرهم بالبَلْكَفَة[2]، فإنّه من منصوبات أشياخهم[3]، والقول ما قال بعض العدلية[4] فيهم :

لجماعة سمّوا هواهم سنّة
وجماعة حمر لعمري موكفه[5]

---

(١) يقصد رؤية المؤمنين لربِّهم يوم القيامة بلا كيف إيماناً منهم بالنصوص وتصديقاً .

(٢) يريد قول السلف : « بلا كيف » فهو من باب المنحوتات مثل : البسملة والحمدلة، أي : أنّ قولهم محض التشبيه، ويقولون بلا كيف على سبيل التستر . انظر : ضوء الساري إلى معرفة رؤية الباري لأبي شامة (ص : ١٥٩) .

(٣) أي : مالك، وأحمد بن حنبل، وسفيان الثوري، والليث بن سعد، والأوزاعي، ومكحول، والزهري، وغيرهم من أئمة السلف، ، وتقدّم نقل ذلك عنهم .

(٤) هم جماعته المعتزِلة، سمّوا أنفسهم بذلك زاعمين أنهم نسبوا الله تعالى إلى العدل، حيث آخذ العباد بما جَنوه على أنفسهم، ولم يجر به القضاء عليهم . انظر : ضوء الساري إلى معرفة رؤية الباري لأبي شامة (ص : ١٥٩) .

(٥) قوله : « حمر » هو جمع حمار، وقوله : « موكفة »، الوكاف هو =

قـــد شبّهـــوه بخلقـــه وتخـــوّفـــوا
شنع الـورى فتستّروا بـالبلكفـه »[1]

وقد أجاب بعض أهل العلم على هذين البيتين بمثلهما في الوزن والقافية فقال :

عجبـــاً لقـــوم ظـــالميـــن تلقّبـــوا
بـالعـدل مـا فيهـم لعمـري معـرفـة
قـد جـاءهـم مـن حيـث لا يـدرونـه
تعطيـل ذات الله مـع نفـي الصفـة[2]

ثم هم مع تعطيل الذات ونفي الصفة قد شبّهوا الله تبارك وتعالى بخلقه؛ لأنّهم إنما قالوا بالتعطيل لتوهمهم التشبيه، ففرّوا منه إلى التعطيل، فوقعوا في تشبيه آخر، وهو تشبيه الله بالممتنعات والمعدومات أو الجمادات، وذلك بحسب نوع تعطيلهم، وقد « برّأ الله أتباع رسوله وورثته القائمين بسنّته عن ذلك كلّه فلم يصفوه إلاّ بما وصف به نفسه ووصفه به نبيُّه ﷺ، ولم يجحدوا صفاته، ولم يشبّهوها بصفات خلقه، ولم يعدلوا بها عمّا أنزلت عليه لفظاً ولا معنى، بل أثبتوا له الأسماء

= البرذعة التي توضع على الحمار، بهذا شبه هذا الظالم أهل السنة والجماعة، عامله الله بعدله .

(١) الكشاف للزمخشري (٢/ ٩٢) .

(٢) ضوء الساري إلى معرفة رؤية الباري لأبي شامة (ص : ١٥٩) .

والصفات ونفوا عنه مشابهة المخلوقات، فكان إثباتهم بريًا من التشبيه، وتنزيههم خليًا من التعطيل لا كمن شبّه حتى كأنَّه يعبد صنماً، أو عطّل حتى كأنَّه لا يعبد إلاَّ عدَماً »[1]، والحمد لله رب العالمين .

المبحث الثالث : في معنى قوله : « والإيمان به واجب » والضوابط المستفادة منه :

لا ريب أنَّ الإيمان بالاستواء وغيره من صفات الباري سبحانه واجبٌ، وكذلك « الجحود به كفرٌ؛ لأنَّه ردٌّ لخبر الله، وكفرٌ بكلام الله، ومن كفر بحرف متفق عليه فهو كافر، فكيف بمن كفر بسبع آيات وردَّ خبَرَ الله تعالى في سبعة مواضع من كتابه »[2]، وقد سبق أنْ مرّ معنا نصوصٌ كثيرةٌ في مبحث سابق فيها أوضح دلالة على وجوب الإيمان بأسماء الله وصفاته الواردة في الكتاب والسنة . و « كتاب الله من أوّله إلى آخره، وسنة رسوله ﷺ من أوّلها إلى آخرها، ثم عامة كلام الصحابة والتابعين، ثم كلام سائر الأئمة مملوءٌ بما هو إمّا نصٌّ وإمّا ظاهرٌ في أنَّ الله سبحانه وتعالى هو العليُّ الأعلى، وهو فوق كلِّ شيء، وهو على كل شيء، وإنَّه فوق العرش، وإنَّه فوق

---

(١) فائدة جليلة في قواعد الأسماء الحسنى (ص : ٥١)، وهي مستلّة من بدائع الفوائد لابن القيم .

(٢) ذم التأويل لابن قدامة (ص : ٢٦) .

السماء، مثل قوله تعالى : ﴿ إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ ﴾ [فاطر : ١٠]، ﴿ إِنِّى مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَىَّ ﴾ [آل عمران : ٥٥]، ﴿ ءَأَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ ٱلْأَرْضَ ﴾ [الملك : ١٦]، ﴿ أَمْ أَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ أَن يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ﴾ [الملك : ١٧]، ﴿ بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ ﴾ [النساء : ١٥٨]، ﴿ تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ ﴾ [المعارج : ٤]، ﴿ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ ﴾ [السجدة : ٥]، ﴿ يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ ﴾ [النحل : ٥٠]، ﴿ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ﴾ في ستة مواضع[(١)]، ﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥ ﴾ ، ﴿ يَٰهَٰمَٰنُ ٱبْنِ لِى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَبْلُغُ ٱلْأَسْبَٰبَ ۝٣٦ أَسْبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ كَٰذِبًا ﴾ [غافر: ٣٦، ٣٧]، ﴿ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾ [فصلت : ٤٢]، ﴿ مُنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ ﴾ [الأنعام : ١١٤] إلى أمثال ذلك مما لا يحصى إلا بكلفة .

وفي الأحاديث الصحاح والحسان ما لا يحصى إلا بالكلفة، مثل قصة معراج الرسول ﷺ إلى ربّه[(٢)]، ونزول الملائكة من عند الله وصعودها إليه، وقوله في الملائكة الذين يتعاقبون فيكم بالليل والنهار : « فيعرج الذين باتوا فيكم إلى

---

(١) سور : الأعراف، الآية ٥٤، ويونس، الآية ٣، والرعد، الآية ٢، والفرقان، الآية ٥٩، والسجدة، الآية ٤، والحديد، الآية ٤ .

(٢) رواها البخاري (١/٤٥٨ ـ ٤٥٩ الفتح)، ومسلم (١/١٤٥) وغيرهما من حديث أنس .

ربهم فيسألهم وهو أعلم بهم »[١].

وفي الصحيح في حديث الخوارج : « ألا تأمنوني وأنا أمين من في السماء يأتيني خبر السماء صباحاً ومساءً »[٢]، وفي حديث الرقية الذي رواه أبو داود وغيره « ربّنا الله الذي في السماء، تقدّس اسمك، أمرك في السماء والأرض، كما رحمتُك في السماء اجعل رحمتك في الأرض، اغفر لنا حوبنا وخطايانا، أنت رب الطيبين، أنزل رحمة من رحمتك، وشفاء من شفاءك على هذا الوجع » قال رسول الله ﷺ : « إذا اشتكى أحد منكم أو اشتكى أخ له فليقل : ربنا الله الذي في السماء . . . » وذكره[٣]، إلى أمثال ذلك مما لا يحصيه إلاّ الله، مما هو من أبلغ المتواترات اللفظية والمعنوية »[٤].

فليس لمسلمٍ يؤمن بوحي الله وتنزيله ويؤمن بما جاء به رسوله ﷺ أن يجحد شيئاً من ذلك أو يتعرَّض له بردٍّ أو تحريفٍ أو نحو ذلك، بل الواجب هو القبول والتسليم والإيمان

---

(١) رواه البخاري (٢/ ٣٣ الفتح)، و (٦/ ٣٠٦ الفتح)، ومسلم (١/ ٤٣٩) وغيرهما من حديث أبي هريرة .
(٢) رواه البخاري (٨/ ٦٧ الفتح)، ومسلم (٢/ ٧٤١) من حديث أبي سعيد الخدري .
(٣) رواه أحمد (٦/ ٢١)، وأبو داود (٣٨٩٢) .
(٤) مجموع الفتاوى (٥/ ١٢ ـ ١٥) .

والتعظيم، و « القول الشامل في جميع هذا الباب : أن يوصف الله بما وصف به نفسه أو وصفه به رسوله، وبما وصفه به السابقون الأولون لا يُتجاوز القرآن والحديث .

قال الإمام أحمد رضي الله عنه : « لا يوصف إلاّ بما وصف به نفسه أو وصفه به رسوله ﷺ لا يُتجاوز القرآن والحديث »، ومذهب السلف أنّهم يصفون الله بما وصف به نفسه وبما وصفه به رسوله من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تكييف ولا تمثيل، ونعلم أنَّ ما وصف الله به من ذلك فهو حقٌّ ليس فيه لُغْزٌ ولا أحَاجي، بل معناه يُعرف من حيث يعرف مقصود المتكلّم بكلامه، لا سيما إذا كان المتكلّم أعلم الخلق بما يقول، وأفصح الخلق في بيان العلم، وأفصح الخلق في البيان والتعريف والدلالة والإرشاد، وهو سبحانه مع ذلك ليس كمثله شيء، لا في نفسه المقدّسة المذكورة بأسمائه وصفاته، ولا في أفعاله، فكما نتيقّن أنَّ الله سبحانه له ذات حقيقة، وله أفعال حقيقة، فكذلك له صفات حقيقة وهو ليس كمثله شيء لا في ذاته، ولا في صفاته، ولا في أفعاله، وكل ما أوجب نقصاً أو حدوثاً فإنَّ الله منزَّهٌ عنه حقيقة، فإنَّه سبحانه مستحقٌّ للكمال الذي لا غاية فوقه، ويمتنع عليه الحدوث لامتناع العدم عليه، واستلزام الحدوث سابقة العدم؛ ولافتقار المحدَث إلى محدِث، ولوجوب وجوده بنفسه سبحانه وتعالى .

ومذهب السلف بين التعطيل والتمثيل، فلا يمثّلون صفات الله بصفات خلقه كما لا يمثّلون ذاته بذات خلقه، ولا ينفون عنه ما وصف به نفسه ووصفه به رسوله فيعطّلوا أسماءه الحسنى وصفاته العليا ويحرّفوا الكلم عن مواضعه ويلحدوا في أسماء الله وآياته، وكل واحد من فريقي التعطيل والتمثيل فهو جامع بين التعطيل والتمثيل، أما المعطّلون فإنّهم لم يفهموا من أسماء الله وصفاته إلاّ ما هو اللاّئق بالمخلوق، ثم شرعوا في نفي تلك المفهومات، فقد جمعوا بين التعطيل والتمثيل، مثّلوا أوّلاً وعطّلوا آخراً، وهذا تشبيه وتمثيل منهم للمفهوم من أسمائه وصفاته بالمفهوم من أسماء خلقه وصفاتهم، وتعطيل لما يستحقُّه هو سبحانه من الأسماء والصفات اللاّئقة بالله سبحانه وتعالى »[١].

ويمكن تلخيص الأقسام الممكنة في آيات الصفات وأحاديثها في ستة أقسام ذكرها شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله، وكل قسم منها عليه طائفة من أهل القبلة وهي :

قسمان يقولان : تجري نصوص الصفات على ظواهرها .

وقسمان يقولان : إنَّ نصوص الصفات على خلاف ظاهرها، أي ظاهرها غير مراد .

---

(١) مجموع الفتاوى (٥/٢٦، ٢٧) .

وقسمان يسكتون .

أما الأولون فقسمان :

أحدهما : من يجريها على ظاهرها وجعل ظاهرها من جنس صفات المخلوقين، فهؤلاء المشبِّهة، ومذهبهم باطل أنكره السلف، وإليهم يتوجّه الردّ بالحق .

الثاني : من يجريها على ظاهرها اللاّئق بجلال الله، كما يجري ظاهر اسم العليم والقدير والرب والإلـٰه والموجود والذات ونحو ذلك على ظاهرها اللاّئق بجلال الله، فإنَّ ظواهر هذه الصفات في حق المخلوق إمَّا جوهر مُحدَث، وإمَّا عرَض قائم به .

فالعلم والقدرة والكلام والمشيئة والرحمة والرضا والغضب ونحو ذلك في حق العبد أعراضٌ، والوجه واليد والعين في حقه أجسام، فإذا كان الله موصوفاً عند عامة أهل الإثبات بأنَّ له علماً وقدرةً وكلاما ومشيئة ـ وإن لم يكن ذلك عرَضاً يجوز عليه ما يجوز على صفات المخلوقين ـ جاز أن يكون وجه الله ويداه صفات ليست أجساماً يجوز عليها ما يجوز على صفات المخلوقين .

وهذا هو المذهب الذي حكاه الخطابي وغيره عن السلف، وعليه يدل كلام جمهورهم، وكلام الباقين لا يخالفه، وهو أمر واضحٌ، فإنَّ الصفات كالذات، فكما أنَّ ذات الله ثابتة حقيقة

من غير أن تكون من جنس المخلوقات، فصفاته ثابتة حقيقة من غير أن تكون من جنس صفات المخلوقات . . .

وأما القسمان اللذان ينفيان ظاهرها، أعني الذين يقولون ليس لها في الباطن مدلول هو صفة الله تعالى قط، وأنَّ الله لا صفةَ له ثبوتية، بل صفاته إما سلبية وإما إضافية وإما مركبة منهما، أو يثبتون بعض الصفات ـ وهي الصفات السبعة أو الثمانية أو الخمسة عشر ـ أو يثبتون الأحوال دون الصفات، ويقرّون من الصفات الخبرية بما في القرآن دون الحديث، على ما قد عرف من مذاهب المتكلّمين، فهؤلاء قسمان :

قسم : يتأوّلونها ويُعيِّنون المراد مثل قولهم : استوى بمعنى استولى، أو بمعنى علوّ المكانة والقدر، أو بمعنى ظهور نوره للعرش، أو بمعنى انتهاء الخلق إليه، إلى غير ذلك من معاني المتكلّمين .

وقسم يقولون : الله أعلم بما أراد بها، لكنا نعلم أنّه لم يرد إثبات صفة خارجية عما علمناه .

وأما القسمان الواقفان :

فقوم : يقولون : يجوز أن يكون ظاهرها المراد اللاّئق بجلال الله، ويجوز أن لا يكون المراد صفة الله ونحو ذلك، وهذه طريقة كثير من الفقهاء وغيرهم .

وقوم : يمسكون عن هذا كله ولا يزيدون على تلاوة القرآن وقراءة الحديث معرضين بقلوبهم وألسنتهم عن هذه التقديرات .

فهذه الأقسام الستة لا يمكن أن يخرج الرجل عن قسم منها »[١] .

والصواب في ذلك هو طريق السلف الصالح رحمهم الله، إثباتُ ما أثبته الله لنفسه وما أثبته له رسولُه ﷺ من صفات الكمال ونعوت الجلال من غير تحريفٍ ولا تعطيلٍ، ومن غير تكييفٍ ولا تمثيلٍ، ونفيُ ما نفاه الله عن نفسه وما نفاه عنه رسولُه ﷺ من النقائص والعيوب، إثباتٌ بلا تمثيلٍ وتنزيهٌ بلا تعطيلٍ على حدٍّ قوله تعالى : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾ ﴾ .

(١) انظر : مجموع الفتاوى (٥/ ١١٢ ـ ١١٧) .

المبحث الرابع : في معنى قوله : « والسؤال عنه بدعة » والضوابط المستفادة منه :

قوله رحمه الله : « والسؤال عنه بدعة » أي : الكيف، فالسؤال عن كيفية صفات الباري بدعة محدثةٌ؛ « لأنَّه سؤال عما لا سبيل إلى علمه، ولا يجوز الكلام فيه، ولم يسبق ذلك في زمن رسول الله ﷺ ولا من بعده من أصحابه »[١].

قال الإمام البربهاري رحمه الله : « احذر صغار المحدثات مِن الأمور، فإنَّ صغارَ البدع تعود كباراً، فالكلام في الربِّ عز وجل مُحدثٌ وبدعة وضلالة، فلا نتكلَّم فيه إلاَّ بما وصف به نفسه، ولا نقول في صفاته : « لِمَ ؟ »، ولا « كيف ؟ »، والقرآن كلام الله وتنزيلُه ونوره ليس مخلوقاً، والمِراء فيه كفر »[٢].

وهذا من السنة اللازمة المتأكّدة في حق كلِّ مسلم، ومَن فارق ذلك كان معدوداً في جملة أهل البدع والأهواء، كما قال الإمام علي بن المديني رحمه الله : « السنة اللازمة التي من ترك منها خصلة لم يقلها أو يؤمن بها لم يكن من أهلها : الإيمان بالقدر خيره وشرّه، ثم تصديق بالأحاديث والإيمان بها

(١) ذم التأويل لابن قدامة (ص : ٢٦) .
(٢) سير أعلام النبلاء (١٥/ ٩١)، وانظر : شرح السنة للبربهاري (ص : ٢٤، ٢٥) .

لا يُقال : لِمَ ؟، ولا كيف ؟ إنَّما هو التصديق بها والإيمان بها وإن لم يعلم تفسير الحديث ويبلغه عقلُه فقد كفى ذلك وأحكم عليه الإيمان به والتسليم »[١].

ثم إنَّه خوض في أمرٍ محالٍ على العقول أن تدركه، فكما أنَّ بصر الإنسان له غاية لا يمكن أن يتجاوزها، وكما أنَّ سمعه له غاية لا يمكن أن يتجاوزها، فكذلك عقله له نطاق محدّد، ومجال لا يمكن أن يتجاوزه .

يروى أنَّ رجلاً أتى بابن له إلى عبدالله بن عباس رضي الله عنهما فقال : « لقد حيّرت الخصومة عقله، وأذهبت المنازعة قلبه، وذهبت به الكلفة عن ربه، فقال عبدالله : أمدد بصرك يا ابن أخي ما السواد الذي ترى ؟ قال : فلان، قال : صدقت، قال : فما الخيال المسرف من خلفه ؟ قال : لا أدري، قال عبدالله : يا ابن أخي فكما جعل الله لأبصار العيون حدًّا محدوداً من دونها حجاباً مستوراً فكذلك جعل لأبصار القلوب غاية لا يجاوزها، وحدوداً لا يتعدّاها، قال : فردّ الله عليه غارب عقله، وانتهى عن المسألة عما لا يعنيه، والنظر فيما لا ينفعه، والتفكر فيما يحيِّره »[٢].

---

(١) رواه عنه اللالكائي في شرح الاعتقاد (١/ ١٦٥) .
(٢) رواه ابن بطة في الإبانة (١/ ٤٢٢) .

وهو كلام حسن وتنظير سديد ـ وإن كان لم يثبت عن ابن عباس رضي الله عنهما[١] ـ والأمر كما ذكر، فكما أنَّ الله جعل لأبصار العيون حدوداً معلومة فكذلك الشأن في أبصار القلوب، لها مجال محدود لا يمكنها أن تتجاوزه أو تتعدّاه .

أورد هذا الأثر ابن بطة في كتابه الإبانة وقال معلِّقاً عليه : « فاتقوا الله يا معشر المسلمين وانتهوا عن معرفة خلقه، أما تعلمون أنَّ الله عز وجل قد أخذ عليكم ميثاق الكتاب أن لا تقولوا على الله إلاّ الحق، فسبحان الله أنّى تؤفكون »[٢] .

وقد عقد الإمام ابن بطة رحمه الله في هذا الموضوع باباً نافعاً في كتابه الإبانة وهو « باب ترك السؤال عما لا يعني البحث والتنقير عما لا يضر جهله والتحذير من قوم يتعمّقون في المسائل ويتعمّدون إدخالَ الشكوك على المسلمين »[٣] .

أورد تحته جملة من النصوص والآثار منها :

١ ـ حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال : « اتركوني ما تركتكم فإنما هلك من كان قبلكم بكثرة

---

(١) في إسناده أبو اليقظان ـ وهو عثمان بن عمير البجلي ضعيف اختلط وكان يدلِّس ويغلو في التشيُّع كما في التقريب لابن حجر، ومسعود بن بشير لم أجده .

(٢) الإبانة لابن بطة (١/ ٤٢٣) .

(٣) الإبانة (١/ ٣٩٠ ـ ٤٢٤) .

مسائلهم واختلافهم على أنبيائهم فما نهيتكم عنه فاجتنبوه، وما أمرتكم به فاعملوا منه ما استطعتم »[١].

٢ ـ حديث عبدالله بن مسعود رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « هلك المتنطّعون » ثلاث مرات[٢].

٣ ـ عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : « ما رأيت قوماً كانوا خيراً من أصحاب رسول الله ﷺ، ما سألوه إلاّ عن ثلاث عشرة مسألة حتى قُبض كلُّهن في القرآن ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ ﴾ [البقرة : ٢١٧]، ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ ﴾ [البقرة : ٢١٩]، ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْيَتَٰمَىٰ ﴾ [البقرة : ٢٢٠]، ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ ﴾ [البقرة : ٢٢٢] ما كانوا يسألون إلاّ عمّا ينفعهم » .

٤ ـ حديث المغيرة بن شعبة قال : قال رسول الله ﷺ : « إنَّ الله عز وجل كره لكم ثلاثاً : قيل وقال وكثرة السؤال »[٣].

٥ ـ وعن ابن شبرمة رحمه الله قال : « من المسائل مسائل لا يجوز للسائل أن يسأل عنها، ولا للمسئول أن يجيب فيها » .

---

(١) رواه البخاري (١٣/ ٢٥١ الفتح)، ومسلم (٤/ ١٨٣٠) .
(٢) رواه مسلم (٤/ ٢٠٥٥) .
(٣) رواه البخاري (٣/ ٣٤٠ ـ الفتح) ومسلم (٣/ ١٣٤١) .

٦ ـ وعن عمران بن عبدالله الخزاعي قال : مرّ القاسم بن محمد بقوم يتكلّمون في القدر فقال : « انظروا ما ذكر الله في القرآن فتكلموا فيه وما كفّ الله عنه فكفُّوا » .

٧ ـ وعن إبراهيم النخعي قال : « كانوا لا يسألون إلاّ عن الحاجة » .

٨ ـ وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال : « إذا أراد الله بعبد خيراً سدده وجعل سؤاله عما يعنيه وعلمه فيما ينفعه » .

وذكر آثاراً أُخر ثم قال : « فالعجب يا إخواني رحمكم الله لقوم حيارى تاهت عقولهم عن طرقات الهدى، فذهبت تند محاضره في أودية الردى، تركوا ما قدّمه الله عز وجل في وحيه وافترضه على خلقه، وتعبَّدَهم بطلبه وأمرهم بالنظر والعمل به، وأقبلوا على ما لم يجدوه في كتاب ناطق ولا تقدمهم فيه سلَف سابق، فشغلوا به وفرّغوا له آراءهم وجعلوه ديناً يدعون إليه ويعادون من خالفهم عليه، أما علم الزائغون مفاتيح أبواب الكفر ومعالم أسباب الشرك، التكلف لما لم تحط الخلائق به علماً به، ولم يأت القرآن بتأويله ولا أباحت السنة النظر فيه، فتزيد الناقص الحقير والأحمق الصغير بقوته الضعيفة، وعقله القصير، أن يهجم على سر الله المحجوب، ويتناول علمه بالغيوب يريدها لنفسه، وطوى غليها علمها دون خلقه، فلم يحيطوا من علمها إلاّ بما شاء، ولا يعلمون منها إلاّ ما يريد،

فكلما لم ينزل الوحي بذكره ولم تأت السنة بشرحه من مكنون علم الله ومخزون غيبه وخفي أقداره فليس للعباد أن يتكلّفوا من علمه ما لا يعلمون، ولا يتحمّلوا من نقله ما لا يطيقون، فإنه لم يعدو رجل كلف ذلك نظره وقلّب فيه فكره أن يكون كالناظرين في عين الشمس ليعرف قدرها، أو كالمرتمي في ظلمات البحور ليدرك قعرها، فليس يزداد على المضي في ذلك إلاّ بعداً، ولا على دوام النظر في ذلك إلاّ تحيُّراً، فليقبل المؤمن العاقل ما يعود عليه نفعه، ويترك إشغال نظره وإعمال فكره في محاولة الإحاطة بما لم يكلفه، ومرام الظفر بما لم يطوقه، فيسلك سبيل العافية، ويأخذ بالمندوحة الواسعة ويلزم الحجة الواضحة والجادة السابلة والطريق الآنسة، فمن خالف ذلك وتجاوزه إلى الغمط بما أمر به والمخالفة إلى ما ينهى عنه، يقع والله في بحور المنازعة وأمواج المجادلة ويفتح على نفسه أبواب الكفر بربه والمخالفة لأمره والتعدي لحدوده، والعجب لمن خلق من نطفة من ماء مهين فإذا هو خصيم مبين، كيف لا يفكر في عجزه عن معرفة خلقه، أما يعلمون أنَّ الله عز وجل قد أخذ عليكم ميثاق الكتاب أن لا تقولوا على الله إلاّ الحق فسبحان الله أنى تؤفكون .

حدّثني ابن الصواف، قال : سمعت أبي يقول : سمعت بعض العلماء يقول : « لو كلَّف الله هؤلاء ما كلَّفوه أنفسهم من

البحث والتنقير لكان من أعظم ما افترضه عليهم » .

فالزموا رحمكم الله الطريق الأقصد والسبيل الأرشد والمنهاج الأعظم من معالم دينكم وشرائع توحيدكم التي اجتمع عليها المختلفون واعتدل عليها المعترفون ﴿ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾ ﴾ [الأنعام : ١٥٣]، وترك الدخول في الضيق الذي لم نخلق له »[1] .

---

(١) الإبانة لابن بطة (١/ ٤٢٠، ٤٢١) .



تحميل كتب و رسائل علمية
قناة عامة
معلومات
t.me/tahmilkutubwarosaililmiyah
رابط الدعوة
الإشعارات
معطّلة

الفصل الثالث
في إبطال تحريفات أهل البدع لهذا الأثر

رغم أنَّ كلام الإمام مالك رحمه الله واضح غايةَ الوضوح، ظاهر مراده به تمام الظهور، من خلال سياق الأثر نفسه، ومن خلال القصة التي ورد فيها، ومن خلال منهج الإمام مالك في الصفات عموماً، ومن خلال أيضاً مقارنته بأقوال غيره من أئمة السلف، إلاّ أنَّ أهل الأهواء قد فهم بعضهم من كلامه رحمه الله خلاف ما أراد، وبنوا عليه خلاف ما قصد .

والإمام مالك رحمه الله وغيره من أئمة السلف كالشافعي وأحمد وابن المبارك وحماد بن زيد والأوزاعي وغيرهم يُنقل عنهم نقول كثيرة في تقرير العقيدة وإثبات الصفات والرد على المعطّلة وذمّ المبتدعة وهجرانهم وعقوبتهم « وهذه الأقوال سمعها طوائف مِمَّن اتبعهم وقلّدهم ثم إنَّهم يخلطون في مواضع كثيرة السنة والبدعة، حتّى قد يبدّلون الأمر، فيجعلون البدعة التي ذمّها أولئك هي السنة، والسنة التي حمدها أولئك هي البدعة، ويحكمون بموجب ذلك، حتى يقعوا في البدع والمعاداة لطريق أئمتهم السنيّة، وفي الحب والموالاة لطريق المبتدعة التي أمر أئمتهم بعقوبتهم، ويلزمهم تكفير أئمتهم

ولعنهم والبراءة منهم . . .

ومن أمثلة ذلك : أنَّ كلام مالك في ذم المبتدعة وهجرهم وعقوبتهم كثير، ومن أعظمهم عنده الجهمية الذين يقولون : إنَّ الله ليس فوق العرش، وإنَّ الله لم يتكلّم بالقرآن كله، وإنَّه لا يُرى كما وردت به السنة، وينفون نحو ذلك من الصفات .

ثم إنَّه كثير من المتأخّرين من أصحابه من ينكر هذه الأمور، كما ينكرها فروع الجهمية، ويجعل ذلك هو السنة، ويجعل القول الذي يخالفها، وهو قول مالك وسائر أئمة السنة هو البدعة، ثم إنه مع ذلك يعتقد في أهل البدعة ما قاله مالك، فبدّل هؤلاء الدين فصاروا يطعنون في أهل السنة »[1] .

وقول الإمام مالك رحمه الله الذي هو موضوع هذه الدراسة ناله شيء من هذا الذي سبقت الإشارة إليه، حيث فُهم منه أمورٌ لم يُرِدْها رحمه الله، وذلك من قِبل من تأثّر بالمناهج الكلامية والطرق الفلسفية، فإنَّ مثل هؤلاء يأتون إلى أقوال الأئمة بل إلى نصوص القرآن والسنة وهم يحملون تصوُّرات مسبقة وعقائد راسخة لا تمتُّ إلى الحق بصلة، ثم يحاولون جاهدين صرف النصوص إلى عقائدهم وحملها على أهوائهم

---

(١) الاستقامة لابن تيمية (١/ ١٣ ـ ١٥) باختصار وتصرّف يسير، وقد ذكر شيخ الإسلام أمثلة أخرى في بعض أتباع الشافعي وأحمد بن حنبل رحمهم الله .

بطرُقٍ متكلَّفة، ورحم الله الإمام ابن القيم إذ يقول : « وما أكثر ما ينقل الناس المذاهب الباطلة عن العلماء بالأفهام القاصرة، ولو ذهبنا نذكر ذلك لطال جدًا، وإن ساعد الله أفردنا لها كتاباً »(١) .

وقد ظنَّ هؤلاء أنَّ طريقة الإمام مالك رحمه الله وغيره من أئمة السلف هي مجرّد الإيمان بألفاظ القرآن والحديث من غير فقه لمعانيها بمنزلة الذين قال الله فيهم : ﴿ وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّآ أَمَانِيَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴾ [البقرة : ٧٨] وسبب ذلك هو اعتقاد هؤلاء أنَّ النصوص لم تدل على صفة حقيقية لله عز وجل؛ لأنَّ ثبوتها يلزم منه بزعمهم التشبيه، فحملتهم هذه الظنون الفاسدة والاعتقادات المنحرفة إلى تحريف أقوال الأئمة رحمهم الله .

وسأقتصر في التمثيل على ذلك بنقلين عن اثنينٍ من المعاصرين حول ما فهماه من كلامه رحمه الله، ثم أوضِّح ما في ذلك من انحراف وفساد وشطط في فهم كلام الإمام مالك رحمه الله .

١ ـ قال الكوثري معلّقاً على أثر الإمام مالك : « الاستواء معلوم يعني مورده في اللغة والكيفية التي أرادها الله مما يجوز عليه من معاني الاستواء مجهولة، فمن يقدر أن يعيِّنها ؟

---

(١) مدارج السالكين (٢/ ٤٣١) .

فتحصّل لك من كلام إمام المسلمين مالك أنَّ الاستواء معلوم وأنَّ ما يجوز على الله غير متعيّن وما يستحيل عليه هو منزّه عنه »[١].

ففهم من كلام الإمام مالك رحمه الله أنَّه أراد تفويض المعنى؛ لأنَّ الاستواء بزعمه مورده في اللغة جاء على معان عديدة ولا يُدرى ما المقصود بالاستواء المضاف إلى الله منها، ولهذا قال : « والكيفية التي أرادها الله مما يجوز عليه من معاني الاستواء مجهولة فمن يقدر أن يعيِّنها ؟ » .

ولهذا قال في تعليقه على الأسماء والصفات للبيهقي : « الاستواء الثابت له جلّ جلاله استواء يليق بجلاله على مراد الله ومراد رسوله من غير خوض في المعنى كما هو مسلك السلف »[٢].

٢ ـ وقال البوطي بعد ما قرّر أنَّ مذهب الخلَف هو تأويل النصوص : « وهكذا فقد كان بوسع الإمام مالك رحمه الله أن يقول في عصره لذلك الذي سأله عن معنى الاستواء في الآية : « الكيف غير معقول، والاستواء غير مجهول، والإيمان به

---

(١) مقالات الكوثري (ص : ٢٩٤، ٢٩٥)، مطبعة الأنوار بالقاهرة عام (١٣٨٨ هـ) .

(٢) الأسماء والصفات (ص : ٣٢٠)، وانظر : (ص : ٥١٣ ـ ٥١٥) منه .

واجب، والسؤال عنه بدعة »؛ إذ كان العصر عصر إيمان ويقين راسخين، بسبب قرب العهد بعصر النبوة، وامتداد الإشراق إليه، ولكن لم يكن بوسع الأئمة الذين قاموا في عصر التدوين وازدهار العلوم، واتّساع حلقات البحث وفنون البلاغة أن يسلِّموا ذلك التسليم دون أن يحلِّلوا هذه النصوص على ضوء ما انتهوا إليه من فنون البلاغة والمجاز، خصوصاً أنَّ فيهم الزنادقة الذين لا يقنعهم منهج التسليم ويتظاهرون بالحاجة إلى الفهم التفصيلي وإن كانوا في حقيقة الأمر معاندين .

والمهم أن تعلم بأنَّ كلا المذهبين متّجهان إلى غاية واحدة؛ لأنَّ المآل فيهما إلى أنّ الله عز وجل لا يشبهه شيء من مخلوقاته، وأنَّه منزَّه عن جميع صفات النقص، فالخلاف الذي تراه بينهما خلاف لفظي وشكلي فقط »[١] .

فظنَّ أنَّ مذهب السلف ومنهم الإمام مالك رحمه الله هو تفويض المعاني وإمرار الألفاظ بدون فهم لما تدل عليه، وقرّر أنَّ السلف كانوا يقطعون بأنَّ ظاهر نصوص الصفات غير مراد وأوّلها تأويلاً إجمالياً، حيث قال قبل كلامه هذا : « فمذهب

---

(١) كبرى اليقينيات الكونية (ص : ١٤١)، طبع دار الفكر (١٤١٣ هـ)، ونقله وهبي غاوجي في مقدمة تحقيقه لإيضاح الدليل لابن جماعة (ص : ٥٦)، طبع دار السلام، الأولى (١٤١٠ هـ) .

السلف هو عدم الخوض في أيِّ تأويل أو تفسير تفصيلي لهذه النصوص والاكتفاء بإثبات ما أثبته الله تعالى لذاته مع تنزيهه عز وجل عن كلِّ نقص ومشابهة للحوادث، وسبيل ذلك التأويل الإجمالي لهذه النصوص وتحويل العلم التفصيلي بالمقصود منها إلى علم الله عز وجل، أما ترك هذه النصوص على ظاهرها دون أيِّ تأويل سواء كان إجمالياً أو تفصيلياً فهو غير جائز وهو شيء لم يجنح إليه سلف ولا خلَف . . . »[1].

ولا ريب أنَّ هذا الذي قرّره البوطي هنا ومن قبله الكوثري ومن قبلهما عامة المتكلِّمين يعدُّ افتراء على السلف الصالح رحمهم الله وتقويلاً لهم لشيء لم يقولوه، وقد جمع هؤلاء فيما نسبوه إلى السلف بين أخطاء عديدة أهمّها :

١ ـ تجهيل السلف الصالح رحمهم الله حيث وصفوهم بأنهم لا يفهمون معاني نصوص الصفات، بل يقرأونها قراءة مجرّدة بمنزلة الأميين الذين لا يعلمون الكتاب إلاّ أمانيّ، وأيُّ تجهيل لهم أعظم من هذا .

٢ ـ الجهل بمذهب السلف الصالح، وأيُّ جهل بمذهب السلف الصالح رحمهم الله أعظم من هذا .

٣ ـ الكذب على السلف عندما نسبوا إليهم عدم فقه المعاني .

---

(١) كبرى اليقينيات (ص : ١٣٨ ـ ١٣٩) .

٤ ـ تكذيب القرآن الكريم، فقد قال الله تعالى : ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ تِبْيَـٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ ﴾ [النحل : ٨٩] وأيُّ تبيان في كلمات لا يدرى ما معناها .

٥ ـ فتح باب الشر للفلاسفة والقرامطة وغيرهم لنشر ضلالهم وباطلهم فقالوا لهؤلاء المفوِّضة أنتم لا تعرفون شيئاً، ونحن نعرف كيف ننزِّه الله فعطّلوا صفاته بأنواع من التحريفات .

٦ ـ تفضيل طريقة الخلف على طريقة السلف، ولهذا قال أرباب هذه المقالة إنَّ مذهب السلف أسلم ومذهب الخلَف أحكم وأعلم .

إلى غير ذلك من الأخطاء والمفاسد التي ترتبت على اعتقاد هؤلاء في مذهب السلف أنَّه التفويض، وعدم إثبات الصفات التي دلّت عليها النصوص ومن يتأمل الأمر حقيقة يجد أنَّ « السلف كلهم أنكروا على الجهمية النفاة، وقالوا بالإثبات وأفصحوا به، وكلامهم في الإثبات والإنكار على النفاة أكثر من أن يمكن إثباته في هذا المكان، وكلام الأئمة المشاهير : مثل مالك، والثوري، والأوزاعي، وأبي حنيفة، وحماد بن زيد، وحماد بن سلمة، وعبدالرحمن بن مهدي، ووكيع بن الجراح، والشافعي، وأحمد بن حنبل، وإسحاق بن راهويه، وأبي عبيد، وأئمة أصحاب مالك وأبي حنيفة والشافعي وأحمد، موجود كثير لا يحصيه أحد .

وجواب مالك في ذلك صريح في الإثبات، فإنَّ السائل قال له : يا أبا عبدالله ﴿ ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥ ﴾ كيف استوى ؟ فقال مالك « الاستواء معلوم، والكيف مجهول ـ وفي لفظ : استواؤه معلوم، أو معقول، والكيف غير معقول ـ، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة . فقد أخبر رضي الله عنه بأنَّ نفس الاستواء معلوم، وأنَّ كيفية الاستواء مجهولة، وهذا بعينه قول أهل الإثبات .

وأما النفاة فما يثبتون استواء حتى تجهل كيفيته، بل عند هذا القائل الشاك وأمثاله أنَّ الاستواء مجهول غير معلوم، وإذا كان الاستواء مجهولاً لم يحتج أن يُقال : الكيف مجهول، لا سيما إذا كان الاستواء منتفياً، فالمنتفي المعدوم لا كيفية له حتى يُقال : هي مجهولة أو معلومة، وكلام مالك صريح في إثبات الاستواء، وأنَّه معلوم، وأنَّ له كيفية، لكن تلك الكيفية مجهولة لنا لا نعلمها نحن .

ولهذا بَدَّع السائل الذي سأله عن هذه الكيفية، فإنَّ السؤال إنّما يكون عن أمر معلوم لنا، ونحن لا نعلم كيفية استوائه، وليس كلُّ ما كان معلوماً وله كيفية تكون تلك الكيفية معلومة لنا، يبيّن ذلك أنَّ المالكية وغير المالكية نقلوا عن مالك أنَّه قال : « الله في السماء وعلمه في كلِّ مكان »، حتى ذكر ذلك مكيّ ـ خطيب قرطبة ـ في كتاب التفسير الذي جمعه من كلام

مالك، ونقله أبو عمر الطلمنكي، وأبو عمر بن عبدالبر، وابن أبي زيد في المختصر، وغير واحد، ونقله أيضاً عن مالك غير هؤلاء مّمن لا يُحصى عددُهم، مثل أحمد بن حنبل، وابنه عبدالله، والأثرم، والخلال والآجري، وابن بطة، وطوائف غير هؤلاء من المصنّفين في السنة، ولو كان مالك من الواقفة أو النفاة لم ينقل هذا الإثبات »[١].

وقد ألزم شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله هؤلاء القائلين بأنَّ مذهب السلف التفويض بسبعة لوازم، لا فكاك لهم منها ولا مناص لهم عنها، وهي تنادي على مذهبهم بالإبطال :

أحدها : أن يكون الله سبحانه قد أنزل في كتابه وسنة نبيّه من هذه الألفاظ ما يضلّهم ظاهره ويوقعهم في التشبيه والتمثيل .

الثاني : أن يكون قد ترك بيان الحق والصواب لهم ولم يُفصح به، بل رمز إليه رمزاً، وألغزه إلغازاً لا يفهم من ذلك إلاَّ بعد الجهد الجهيد .

الثالث : أن يكون قد كلَّف عباده أن لا يفهموا من تلك الألفاظ حقائقها وظواهرها، وكلّفهم أن يفهموا منها ما لا تدل عليه، ولم يجعل معها قرينة تفهم ذلك .

الرابع : أنّه يكون دائماً متكلّماً في هذا الباب بما ظاهره

---

(١) مجموع الفتاوى (٥/ ١٨٠ ـ ١٨٢) .

خلاف الحق بأنواع متنوّعة من الخطاب تارة بأنّه استوى على عرشه، وتارة بأنّه فوق عباده، وتارة بأنّه العلي الأعلى، وتارة بأن الملائكة تعرج إليه، وتارة بأن الأعمال الصالحة ترفع إليه، وتارة بأنَّ الملائكة في نزولها من العلوِّ إلى أسفل تنزل من عنده، وتارة بأنّه رفيع الدرجات، وتارة بأنّه في السماء، وتارة بأنّه الظاهر الذي ليس فوقه شيء، وتارة بأنّه فوق سماواته على عرشه، وتارة بأنَّ الكتاب نزل من عنده، وتارة بأنّه ينزل كلَّ ليلة إلى سماء الدنيا، وتارة بأنّه يُرى بالأبصار عياناً، يراه المؤمنون فوق رؤوسهم إلى غير ذلك من الدلالات على ذلك، ولا يتكلّم فيه بكلمة واحدة توافق ما يقوله النفاة ولا يقول في مقام واحد قط ما هو الصواب فيه لا نصًّا ولا ظاهراً، ولا يبيّنه .

الخامس : أن يكون أفضل الأمة وخير القرون قد أمسكوا من أولهم إلى آخرهم عن قول الحق في هذا النبأ العظيم الذي هو من أهمّ أصول الإيمان، وذلك إمّا جهل ينافي العلم، وإمّا كتمان ينافي البيان، ولقد أساء الظنّ بخيار الأمة من نسبهم إلى ذلك، ومعلوم أنّه إذا ازدوج التكلّم بالباطل والسكوت عن بيان الحق، تولّد من بينهما جهل الحق وإضلال الخلق، ولهذا لما اعتقد النفاة التعطيل صاروا يأتون من العبارات بما يدلّ على التعطيل والنفي نصًّا وظاهراً، ولا يتكلّمون بما يدل على حقيقة الإثبات لا نصًّا ولا ظاهراً، وإذا ورد عليهم من النصوص ما هو

صريح أو ظاهر في الإثبات حرّفوه أنواع التحريفات، وطلبوا له مستكره التأويلات .

السادس : أنهم التزموا لذلك تجهيل السلف وأنّهم كانوا أميّين مقبلين على الزهد والعبادة والورع والتسبيح وقيام الليل، ولم تكن الحقائق من شأنهم .

السابع : أن ترك الناس من إنزال هذه النصوص كان أنفع لهم وأقرب إلى الصواب، فإنّهم ما استفادوا بنزولها غير التعرض للضلال ولم يستفيدوا منها يقيناً ولا علماً بما يجب لله ويمتنع عليه؛ إذ ذاك إنّما يُستفاد من عقول الرجال وآرائها[١] .

وعلى كلِّ حالٍ فإنَّ كلام الإمام مالك رحمه الله واضح في الإثبات على طريقة أئمة السلف، ومع ذلك فـ « قد حرّف بعضهم كلام هؤلاء الأئمة على عادته فقال : معناه الاستواء معلوم لله، فنسبوا السائل إلى أنّه كان يشكّ هل يعلم الله استواء نفسه أو لا يعلمه، ولما رأى بعضهم فساد هذا التأويل قال : إنّما أراد به أنَّ ورود لفظه في القرآن معلوم، فنسبوا السائل والمجيب إلى الغفلة[٢]، فكأنَّ السائل لم يكن يعلم أنّ هذا

---

(١) انظر : الصواعق المرسلة (١/ ٣١٤) .

(٢) في المطبوع : « إلى اللغة »، وهو خطأ، والتصويب من النسخة الخطية (ق ١٦٠/ب)، وهي مصوّرة في قسم المخطوطات بالجامعة الإسلامية (برقم : ٦٥٢ فلم) عن دار العلوم لندوة العلماء بلكناو الهند .

اللفظ في القرآن وقد قال يا أبا عبدالله : ﴿ ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ﴾ كيف استوى ؟ فلم يقل : هل هذا اللفظ في القرآن أم لا، ونسبوا المجيب إلى أنّه أجابه بما يعلمه الصبيان في المكاتب ولا يجهله أحد، ولا هو مما يحتاج إلى السؤال عنه، ولا استشكله السائل، ولا خطر بقلب المجيب أنّه يسأل عنه »[١] .

وقد أجاب عن هذا التحريف شيخُ الإسلام ابن تيمية رحمه الله بقوله : « فإن قيل : معنى قوله « الاستواء معلوم » أنَّ ورود هذا اللفظ في القرآن معلوم، كما قاله بعض أصحابنا الذين يجعلون معرفة معانيها من التأويل الذي استأثر الله بعلمه .

قيل : هذا ضعيف، فإنَّ هذا من باب تحصيل الحاصل، فإنَّ السائل قد علم أنَّ هذا موجود في القرآن وقد تلا الآية، وأيضاً فلم يقل : ذكر الاستواء في القرآن، ولا إخبار الله بالاستواء، وإنّما قال : الاستواء معلوم، فأخبر عن الاسم المفرد أنّه معلوم، لم يخبر عن الجملة .

وأيضاً فإنّه قال : « والكيف مجهول »، ولو أراد ذلك لقال : معنى الاستواء مجهول، أو تفسير الاستواء مجهول، أو بيان الاستواء غير معلوم، فلم ينف إلاَّ العلم بكيفية الاستواء، لا العلم بنفس الاستواء، وهذا شأن جميع ما وصف الله به

---

(١) مختصر الصواعق (ص : ٣٣٦) .

نفسه، ولو قال في قوله : ﴿ إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسۡمَعُ وَأَرَىٰ ﴿٤٦﴾ ﴾ كيف يسمع ويرى ؟ لقلنا : السمع والرؤيا معلوم، والكيف مجهول، ولو قال : كيف كلّم موسى تكليماً ؟ لقلنا : التكليم معلوم، والكيف غير معلوم .

وأيضاً فإنَّ من قال هذا من أصحابنا وغيرهم من أهل السنة يقرُّون بأنَّ الله فوق العرش حقيقة وأنَّ ذاته فوق ذات العرش، لا ينكرون معنى الاستواء، ولا يرون هذا من المتشابه الذي لا يُعلم معناه بالكلية .

ثم السلف متفقون على تفسيره بما هو مذهب أهل السنة، قال بعضهم : ارتفع على العرش، علا على العرش، وقال بعضهم عبارات أخرى، وهذه ثابتة عن السلف، قد ذكر البخاري في صحيحه بعضها في كتاب الرد على الجهمية، وأما التأويلات المحرّفة مثل استولى[1] وغير ذلك، فهي من التأويلات المتبدَعة لما ظهرت الجهمية » إلى آخر كلامه رحمه الله[2] .

ومنهج هؤلاء مع النصوص المخالفة لعقائدهم كما قال شيخ الإسلام : « تارة يحرّفون الكلم عن مواضعه، ويتأوّلون على غير تأويله، وهذا فعل أئمتهم، وتارة يعرضون عنه

---

(١) في المطبوع : « استوى »، وهو تصحيف .
(٢) مجموع الفتاوى (١٣/٣٠٩، ٣١٠) .

ويقولون : نفوّض معناه إلى الله، وهذا فعل عامّتهم »[١] .

فكلام السلف رحمهم الله مؤتلف غير مختلف، ومقبول غير مردود، بخلاف كلام أهل الأهواء والبدع، فهم في قول مختلف يُؤفك عنه من أُفك، قُتل الخرّاصون .



(١) مجموع الفتاوى (١٣/ ١٤٣) .

الفصل الرابع
في ذكر فوائد عامة مأخوذة من هذا الأثر

لقد اشتمل هذا الأثر العظيم عن الإمام مالك رحمه الله على فوائد عظيمة ومهمّة يحتاج طالب العلم إلى الوقوف عندها وتأمّلها وأخذ العبرة منها، وسأجمل هذه الفوائد في ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : ذكر ما في قولهم : « حتى علاه الرّحضاء » من فائدة .

المبحث الثاني : ذكر ما في قوله : « ما أراك إلاّ مبتدعاً » من فائدة .

المبحث الثالث : ذكر ما في قوله : « أخرجوه عنّي » من فائدة .

المبحث الأول
ذكر ما في قولهم :
« حتى علاه الرّحضاء » من فائدة

لَمَّا سمع الإمام مالك رحمه الله هذا السؤال الخطير وهذا الخوض الباطل من هذا السائل في البحث عن كيفية صفات الباري سبحانه شقَّ عليه الأمر، وعَظُم عنده الخَطب، وتأثّر تأثّراً شديداً، ووجد منه ورُحِضَ رحمه الله من ذلك، حتى قال من حضر : « فما وجد مالك من شيء ما وجد من مسألته، فنظر إلى الأرض وجعل ينكت بعود في يده حتى علاه الرحضاء » .

والرحضاء هو « العرق إثر الحمى، أو عرق يغسل الجلد كثرة »[1].

وهذا بلا شك يدلّ على شدّة تأثُّر الإمام مالك رحمه الله من هذه المقالة، وشدّة غضبه على انتهاك حرمات الله عز وجل، « وهذه كانت حال النبي ﷺ، فإنّه كان لا ينتقم لنفسه، ولكن إذا انتهكت حرمات الله لم يقم لغضبه شيء »[2].

عقد البخاري رحمه الله في صحيحه باباً بعنوان : (ما

---

(١) القاموس المحيط (ص : ٨٢٩) .
(٢) جامع العلوم والحكم (ص : ١٣٨) .

يجوز من الغضب والشدّة لأمر الله)[١].

وروى فيه عن عائشة رضي الله عنها قالت : دخل عليَّ رسول الله ﷺ وفي البيت قِرامٌ فيه صُوَرٌ فتلوّن وجهُه، ثم تناول السِّتر فهتكه، وقالت : قال النبي ﷺ : « **مِن أشدّ الناس عذاباً يوم القيامة الذين يُصوّرون هذه الصُوَر** » .

وعن أبي مسعود رضي الله عنه قال : أتى رجل النبيَّ ﷺ فقال : إني لأتأخّر عن صلاة الغداة من أجل فلان ممّا يطيل بنا، قال : فما رأيت رسول الله ﷺ قطُّ أشدَّ غضباً منه يومئذٍ، قال : فقال : « **يا أيّها الناس إنَّ منكم منفّرين، فأيُّكم ما صلى بالناس فلْيتَجَوَّز فإنَّ فيهم المريض والكبير وذا الحاجة** » .

وعن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما قال : بينا النبي ﷺ يصلِّي رأى في قبلة المسجد نُخامة فحكَّها بيده فتغيَّظ ثم قال : « **إنَّ أحدكم إذا كان في الصلاة فإنَّ الله حِيال وجهه، فلا يتنخّمنَّ حِيال وجهه في الصلاة** ».

وعن زيد بن خالد الجهني أنَّ رجلاً سأل رسول الله ﷺ عن اللُّقطة ؟ فقال : « **عرِّفها سنة، ثم اعرف وِكاءها وعِفاصها، ثم استنفق بها، فإن جاء ربُّها فأدِّها إليه** »، قال : يا رسول الله فضالّة الغنم ؟ قال : « **خذها فإنّما هي لك أو لأخيك أو**

---

(١) صحيح البخاري مع الفتح (١٠/ ٥١٧) .

للذئب »، قال : يا رسول الله فضالّة الإبل ؟ قال : فغضب رسول الله ﷺ حتى احمرّت وجنتاه، أو احمرَّ وجهه، ثم قال : « ما لك ولها، معها حذاؤها وسقاؤها حتى يلقاها ربُّها » .

وعن زيد بن ثابت رضي الله عنه قال : احتجر رسول الله ﷺ حُجيرة مخصفة ـ أو حصيراً ـ فخرج رسول الله ﷺ يصلِّي إليها فتتبّع إليه رجالٌ وجاؤوا يصلّون بصلاته ثم جاؤوا ليلةً، فحضروا وأبطأ رسول الله ﷺ عنهم فلم يخرج إليهم فرفعوا أصواتهم وحصبوا الباب، فخرج إليهم مغضباً فقال لهم رسول الله ﷺ : « ما زال بكم صنيعكم حتى ظننت أنه سيكتب عليكم، فعليكم بالصلاة في بيوتكم، فإنَّ خير صلاة المرء في بيته إلاّ الصلاة المكتوبة » .

فهذا هدي رسول الله صلوات الله وسلامه عليه، يغضب إذا انتهكت حرمات الله، ولا ينتقم لنفسه، كما في الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها قالت : « ما ضرب رسول الله ﷺ بيده خادماً ولا امرأةً ولا دابّةً ولا شيئاً قط، إلاّ أن يجاهد في سبيل الله، ولا نيل منه شيء فانتقم لنفسه قط، إلاّ أن تنتهك حرمات الله، فإذا انتهكت حرمات الله لم يقم لغضبه شيء حتى ينتقم لله »[(١)].

---

(١) البخاري (٦/ ٥٦٦ ـ الفتح)، ومسلم (٤/ ١٨١٤) .

والناس في هذا الباب على ثلاثة أقسام :

١ ـ قسم يغضبون لنفوسهم ولربِّهم .

٢ ـ وقسم يغضبون لنفوسهم ولا يغضبون لربَّهم .

٣ ـ وقسم يغضبون لربهم ولا يغضبون لنفوسهم وهم الوسط الخيار[١] .

(١) انظر : مجموع الفتاوى لابن تيمية (٢٨/ ٢٩٥، ٢٩٦) .

المبحث الثاني
ذكر ما في قوله : « ما أراك إلاّ مبتدعاً » من فائدة

لا ريب أنَّ هذا الرجل الذي قال في شأنه الإمام مالك ما قال قد ارتكب بدعة من البدع التي يُبدَّع قائلها، فعن أشهب بن عبدالعزيز قال : سمعتُ مالك بن أنس يقول : « إيّاكم والبدع، قيل : يا أبا عبدالله : وما البدع ؟ قال : أهل البدع الذين يتكلّمون في أسمائه وصفاته، وكلامِه وعلمه وقدرته، لا يسكتون عمّا سكت الله عنه والصحابة والتابعون »(١).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية : « والبدعة التي يُعدّ بها الرجل من أهل الأهواء ما اشتهر عند أهل العلم بالسنة مخالفتها للكتاب والسنة، كبدعة الخوارج والروافض والقدرية والمرجئة . . . »(٢).

ثمَّ إنَّ هذه البدع قد تصدر من شخص على وجه قد يكون يُعذر فيه، وقد تصدر على وجه لا يكون معذوراً فيه، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : « وإنّما المقصود هنا أنَّ ما ثبت قُبحُه من البدع وغير البدع من المنهي عنه في الكتاب والسنة، أو المخالف للكتاب والسنة إذا صدر عن شخص من الأشخاص فقد

---

(١) رواه الصابوني في عقيدة السلف (ص : ٦٩) .
(٢) مجموع الفتاوى (٣٥/ ٤١٤) .

يكون على وجه يُعذر فيه، إمَّا لاجتهاد أو تقليد يُعذر فيه، وإمَّا لعدم قدرته كما قد قرّرته في غير هذا الموضع، وقرّرته أيضاً في أصل التكفير والتفسيق المبنيِّ على أصل الوعيد .

فإنَّ نصوص الوعيد التي في الكتاب والسنة، ونصوص الأئمة بالتكفير والتفسيق ونحو ذلك لا يستلزم ثبوت موجبها في حقِّ المعيّن، إلاَّ إذا وُجدت الشروط وانتفت الموانع، لا فرق في ذلك بين الأصول والفروع، هذا في عذاب الآخرة فإنَّ المستحق للوعيد من عذاب الله ولعنته وغضبه في الدار الآخرة خالد في النار، أو غير خالد، وأسماء هذا الضرب من الكفر والفسق يدخل في هذه القاعدة، سواء كان بسبب بدعة اعتقادية أو عبادية، أو بسبب فجور في الدنيا، وهو الفسق بالأعمال .

فأمَّا أحكام الدنيا فكذلك أيضاً، فإنَّ جهاد الكفار يجب أن يكون مسبوقاً بدعوتهم؛ إذ لا عذاب إلاَّ على من بلغته الرسالة، وكذلك عقوبة الفساق لا تثبت إلاَّ بعد قيام الحجّة »[١] .

ولهذا إذا علم العالم المحقق من حال الرجل أنَّه غير معذور بدّعه بعينِه، ووصفه بأنَّه مبتدع، وإذا كان بخلاف ذلك لم يبدِّعه، ولعلَّه لأجل هذا قال الإمام مالك رحمه الله : « وما أُراك إلاَّ مبتدعاً »، وفي لفظ : « وما أُراك إلاَّ ضالاً »، وفي

---

(١) مجموع الفتاوى (١٠/ ٣٧١، ٣٧٢) .

لفظ : « وإني لأظنّك ضالاً »، وفي لفظ : « وما أظنّك إلاّ ضالاً »، وأُرى بمعنى : أظنّ، فلم يجزم رحمه الله بتبديعه، وفي لفظ قال : « أنت رجل سوء، صاحب بدعة »، وفرقٌ بين إطلاق الوصف على الشخص بأنّه مبتدعٌ، وبين القول بأنّه صاحب بدعة، ولو فُرض أنَّ الإمام مالكاً رحمه الله قد بدَّعه بعينه فإنّه يُحمل على أنّه عَلِم من حاله أنّه وقع في الأمر المتبدَع على وجه لا يُعذر فيه، وممّا يقوّي هذا أنَّ في بعض طرق القصة ما يشير إلى أنَّ هذا الرجل عنده شيء من التعنّت في هذه المسألة، وحبِّ الإثارة، والتمادي في الأمر، مما لا يكون إلاّ في أهل الأهواء والبدع، ففي رواية سفيان للقصة : قال الرجل : « والله الذي لا إلـٰه إلا هو لقد سألت عن هذه المسألة أهلَ البصرة والكوفة والعراق فلم أجد أحداً وُفِّق لما وُفِّقَ إليه[1] ».

وعموماً فأهل العلم يفرّقون بين التعميم والتعيين في التكفير والتبديع والتفسيق، ولا يلحق شيء من هذه الأوصاف بإنسان معيّن إلاّ وَفق شروط وضوابط معلومة عند أهل العلم، والله أعلم .

---

(١) ولعل الرجل استفاد من هذا العلم الذي وُفِّق إليه الإمام مالك رحمه الله .

المبحث الثالث
ذكر ما في قوله : « أخرجوه عنّي » من فائدة

لقد أمر الإمام مالك رحمه الله بإخراج هذا السائل تأديباً له، وصيانةً لمجلسه من أن يكون لأحد من أهل الأهواء مجال أن يخوض فيه برأي أو هوى أو تقرير باطل أو إثارة شبهات أو نحو ذلك .

قال أبو قلابة : « لا تجالسوا أهل الأهواء ولا تجادلوهم، فإني لا آمن أن يغمسوكم في ضلالتهم أو يُلبِّسوا عليكم ما تعرفون »(١) .

وقال عمرو بن قيس الملائي : « كان يُقال : لا تجالس صاحب زيغ فيزيغ قلبك »(٢) .

وقال مصعب بن سعد : « لا تجالس مفتوناً، فإنَّه لن يخطئك منه إحدى اثنتين : إمَّا أن يفتنك، وإمّا أن يؤذيك قبل أن تفارقه »(٣) .

---

(١) رواه ابن بطة في الإبانة (١/ ٤٣٥) .
(٢) رواه ابن بطة في الإبانة (٢/ ٤٣٦) .
(٣) رواه ابن بطة في الإبانة (٢/ ٤٤٢) .

وقال الأوزاعي : « لا تمكّنوا صاحب بدعة من جدل فيورث قلوبكم من فتنة ارتياباً »[١].

وقال أيوب السختياني : « دخل على محمد بن سيرين رجلٌ فقال يا أبا بكر أقرأ عليك آية من كتاب الله لا أزيد على أن أقرأها ثم أخرج، فوضع أصبعيه في أذنيه، ثم قال : أحرج عليك إن كنت مسلماً لما خرجت من بيتي، قال : فقال : يا أبا بكر إني لا أزيد على أن أقرأ ثم أحرج، قال : فقال : بإزاره يشدَّه عليه وتهيّأ للقيام فأقبلنا على الرجل فقلنا : قد حرج عليك إلاَّ خرجت، أفيحلّ لك أن تخرج رجلاً من بيته، قال : فخرج، فقلنا : يا أبا بكر ما عليك لو قرأ آية ثم خرج، قال : إني والله لو ظننت أنَّ قلبي يثبت على ما هو عليه ما باليت أن يقرأ، ولكني خِفتُ أن يُلقيَ في قلبي شيئاً أجهد أن أخرجه من قلبي فلا أستطيع »[٢].

لأجل هذا كان أئمة السلف يوصون بعدم مجالسة أهل الأهواء ويأمرون بإخراجهم من مجالسهم .

وهذا الرجل الذي أمر مالك رحمه الله بإخراجه من مجالسه قد خاض في متشابه القرآن الكريم؛ إذ الصفات من حيث الكنه

---

(١) رواه ابن وضاح في البدع والنهي عنها (ص : ٣٥) .
(٢) رواه ابن وضاح في البدع والنهي عنها (ص : ٥٣) .

والكيفية أمرها من المتشابه الذي لا يعلمه إلاَّ الله، وقد قال الله تعالى : ﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ﴾ [آل عمران : ٧].

روى البخاري ومسلم عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت : تلا رسول الله ﷺ هذه الآية : ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ﴾ إلى قوله : ﴿ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ [آل عمران : ٧] قالت : فقال رسول الله ﷺ : « **فإذا رأيت الذين يتّبعون ما تشابه منه فأولئك الذين سمَّى الله فاحذروهم** »[(١)].

فأرشد صلوات الله وسلامه عليه إلى الحذر منهم واجتنابهم، وقصة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه مع صَبيغ بن عسل الذي كان يسأل عن متشابه القرآن مشهورة، رواها غير واحد من أهل العلم، وفيها تأديب عمر له، ونفيه إلى البصرة، وهو نوع من التعزير له ليتأدَّب « والتعزير منه ما يكون بالتوبيخ، وبالزجر بالكلام، ومنه ما يكون بالحبس، ومنه ما يكون بالنفي عن الوطن، ومنه ما يكون بالضرب »[(٢)].

قال الإمام الآجري رحمه الله بعد أن روى قصة عمر : « فإن

---

(١) البخاري (٨/ ٢٠٩ ـ الفتح)، ومسلم (٤/ ٢٠٥٣) .
(٢) الطرق الحكمية لابن القيم (ص : ٢٦٥) .

قال قائل: فمن يسأل عن تفسير ﴿وَٱلذَّٰرِيَٰتِ ذَرۡوٗا ۝١ فَٱلۡحَٰمِلَٰتِ وِقۡرٗا﴾ [الذاريات : ١، ٢] استحق الضرب والتنكيل به والهجرة ؟

قيل له : لم يكن ضرب عمر رضي الله عنه له بسبب هذه المسألة، ولكن لما تأدّى إلى عمر ما كان يسأل عنه من متشابه القرآن من قبل أن يراه، علم أنَّه مفتون، قد شغل نفسه بما لا يعود عليه نفعه، وعلم أنَّ اشتغاله بطلب علم الواجبات من علم الحلال والحرام أولى به، وتطلّب علم سنن رسول الله ﷺ أولى به، فلما علم أنّه مقبلٌ على ما لا ينفعه، سأل عمرُ الله تعالى أن يمكّنه منه حتى يُنكِّل به، وحتى يحذر غيره؛ لأنَّه راعٍ يجب عليه تفقّد رعيّته في هذا وفي غيره، فأمكنه الله تعالى منه »[1].

ولهذا فإنَّ من يخوض في المتشابه يستحق من الزجر والتأديب ما يردعه ويجعله يكفُّ عن خوضه، روى يزيد بن هارون في مجلسه حديثَ إسماعيل بن خالد، عن قيس بن حازم، عن جرير بن عبدالله في الرؤية وقولَ رسول الله ﷺ : « إنّكم تنظرون إلى ربّكم كما تنظرون إلى القمر ليلة البدر » فقال له رجلٌ في مجلسه : يا أبا خالد ما معنى هذا الحديث ؟ فغضب وحرد وقال : « ما أشبهك بصبيغ، وأحوجَك إلى مثل

(١) الشريعة (١/ ٤٨٤، ٤٨٥) .

ما فُعل به، ويلك ! ومن يدري كيف هذا ؟ ومن يجوز له أن يجاوز هذا القول الذي جاء به الحديث أو يتكلّم فيه بشيء من تلقاء نفسه إلاَّ من سفه نفسه واستخفَّ بدينه ؟ إذا سمعتم الحديث عن رسول الله ﷺ فاتَّبعوه، ولاُ تبتدعوا فيه، فإنّكم إن اتّبعتموه ولم تُماروا فيه سلِمتم، وإن لم تفعلوا هلكتم »[1]. ثم إنَّ مالكاً إضافة إلى ما تقدّم قد يكون راعى حُرمة المكان الذي هو فيه، إذا كان السائل قد أتاه في مسجد رسول الله ﷺ، روي عنه أنّه قال في قصة أخرى : « لا يُجتمع عند رجل مبتدع في مسجد رسول الله ﷺ »[2]، هذا وبالله وحده التوفيق .

---

(١) أورده الصابوني في عقيدة السلف (ص : ٦٦) .
(٢) رواه ابن بطة في الإبانة (٢/ ٤٧٦) .

الخاتمة

الحمد لله أوّلاً وآخِراً، والشكر له ظاهراً وباطناً على توالي نِعمه وترادف مننه، ونسأله سبحانه أن يوزعَنا شكرها ﴿ رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَدْخِلْنِى بِرَحْمَتِكَ فِى عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٩﴾ ﴾ [النمل : ١٩]، وبعد :

فقد تمَّ في هذا البحث الحديث مفصّلاً عن الأثر المشهور عن الإمام مالك رحمه الله في جواب من سأله عن كيفية استواء الله على عرشه، وتبيّن فيه ثبوت هذا الأثر عنه رحمه الله، وأنَّ المسلمين تلقّوه بالقبول، وليس في أهل السنة من ينكره، بل إنَّ أهل العلم استحسنوه واستجودوه وائتموا به، وعدّوه أنبل جواب قيل في هذه المسألة، وجعلوه قاعدةً مطردة تطبق في جميع الصفات، فمن سأل عن كيفية أيِّ صفة لله قيل له ما قاله مالك رحمه الله في جواب من سأله عن كيفية الاستواء، ولهذا يمكن أن نقول عموماً : « الصفات معلومة، وكيفياتها مجهولة، والإيمان بها واجب، والسؤال عن كيفياتها بدعة »، كما انتظم هذا البحث ذكر الشواهد على هذه الكلمة من الكتاب والسنة، وإيراد نظائر لها عن أئمة السلف رحمهم الله،

واشتمل أيضاً على بيان مدلولات هذه الكلمة والأمور المستفادة منها، والرد على المخالفين والمحرفين، وإبطال ما قام به بعضهم من محاولةٍ لتحريف معنى هذا الكلام وصرفها عن معناها الصحيح، ثم ذِكر بعض الفوائد العامة المستفادة من القصة والسياق الذي وردت فيه هذه الكلمة، وإني لأرجو أن تكون هذه الدراسة أنموذجاً للعناية بالآثار المرويّة عن السلف رحمهم الله، وإعطائها حقَّها من الدراسة والتحقيق واستخراج الفوائد، ولا سيما منها ما حظي بالشهرة الواسعة وتلقي الأمة له بالاستحسان والقبول .

ونسأل الله تعالى أن يجزي سلفنا الصالح عنّا خير الجزاء على نصحهم للأمة وجهودهم المباركة وأعمالهم الوفيرة في نصرة السنة وقمع البدعة، إنّه سبحانه سميع الدعاء وأهل الرجاء، وهو حسبنا ونعم الوكيل .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلّم على نبيّنا محمد وعلى آله وأصحابه وأتباعه أجمعين .

فهرس المصادر والمراجع

- الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية ومجانبة الفرق المذمومة : لابن بطة العكبري، دار الراية، ط الأولى .
- إبطال التأويلات لأخبار الصفات : للقاضي أبي يعلى، تحقيق : محمد أحمد الحمود، مكتبة دار الإمام الذهبي، ط. الأولى .
- إثبات صفة العلو : لابن قدامة، تحقيق : د. أحمد بن عطية الغامدي، مكتبة العلوم والحكم، ط الأولى .
- اجتماع الجيوش الإسلامية على غزو المعطلة والجهمية : المكتبة السلفية .
- أخبار أصبهان : لأبي نعيم الأصبهاني، مطبعة ليدن .
- الاختلاف في اللفظ والرد على الجهمية والمشبهة : لابن قتيبة، تحقيق : عمر بن محمود أبو عمر، دار الراية، ط الأولى .
- الأربعين : للذهبي ـ ضمن مجموع فيه ست رسائل للذهبي ـ تحقيق : جاسم سليمان الدوسري، الدار السلفية، ١٤٠٨ هـ .
- الاستقامة : لابن تيمية، تحقيق : د. محمد رشاد سالم،

نشر جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ط الأولى .
- الأسماء والصفات : للبيهقي، تحقيق : عبدالله بن محمد الحاشدي، مكتبة الوادي، ط الأولى .
- الأسماء والصفات : للبيهقي، دار الكتب العلمية، ط الأولى .
- الاعتقاد على مذهب السلف أهل السنة والجماعة : للبيهقي، دار الكتب العلمية، ط الأولى .
- إعلام الموقعين : لابن القيم، تحقيق : طه عبدالرؤوف، مكتبة الكليات الأزهرية .
- أقاويل الثقات في تأويل الأسماء والصفات والآيات المحكمات والمشتبهات : لمرعي الكرمي، تحقيق : شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، ط الأولى .
- البدع : لابن وضاح، تحقيق : محمد أحمد دهمان، دار البصائر .
- بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس : للضبي أحمد بن عميرة، دار الكتاب العربي .
- بهجة قلوب الأبرار وقرة عيون الأخيار في شرح جوامع الأخبار للشيخ عبدالرحمن بن سعدي: المؤسسة السعيدية.
- البيان والتحصيل: لابن رشد، طبعة دار الغرب الإسلامي .
- تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام : للذهبي،

تحقيق : د. عمر عبدالسلام تدمري، دار الكتاب العربي، ط الأولى .

- تاريخ بغداد : للخطيب البغدادي، دار الكتب العلمية .
- تاريخ العلماء والرواة للعلم بالأندلس : لابن الفرض عبدالله بن محمد، تصحيح : السيد عزت العطار الحسيني، مكتبة الخانجي .
- التدمرية : لابن تيمية، تحقيق : محمد بن عودة السعوي، ط الأولى .
- ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك : وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالمغرب .
- تفسير أبي المظفر السمعاني : تحقيق : باسم بن إبراهيم وغنيم بن عباس، طبع دار الوطن .
- تفسير البغوي المسمى معالم التنزيل : تحقيق : خالد العك ومروان سوار، دار المعرفة، ط الأولى .
- تفسير القرآن العظيم : لابن كثير، تحقيق عبدالعزيز غنيم ومحمد أحمد عاشور ومحمد إبراهيم البنا، الشعب .
- تقريب التهذيب : لابن حجر، تحقيق : أبي الأشبال صغير أحمد شاغف، دار العاصمة .
- التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد : مطبعة فضالة المحمدية .

- تهذيب التهذيب : لابن حجر، دار الفكر، ط الأولى .
- تهذيب الكمال في أسماء الرجال : للمزي، تحقيق : د. بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة، ط الخامسة .
- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان : للشيخ عبدالرحمن بن سعدي، الجامعة الإسلامية .
- الجامع الصحيح : للبخاري، المطبعة السلفية، ط الأولى .
- جامع العلوم والحكم : لابن رجب، دار المعرفة .
- جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس : لأبي عبدالله محمد بن فتوح الحميدي، تصحيح وتحقيق : محمد بن تاويت الطنجي، مكتبة الخانجي .
- الجرح والتعديل : لابن أبي حاتم، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية .
- الحجة في بيان المحجة في شرح عقيدة أهل السنة : لأبي القاسم التيمي، تحقيق : د. محمد ربيع المدخلي، ومحمد بن محمود أبو رحيم، دار الراية، ط الأولى .
- حلية الأولياء وطبقات الأصفياء : لأبي نعيم، دار الفكر .
- خلق أفعال العباد : للبخاري، تحقيق : بدر البدر، الدار السلفية، ط الأولى .
- درء تعارض العقل والنقل : لابن تيمية، تحقيق : محمد رشاد سالم، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ط الأولى .

- ذم التـأويـل : لابـن قـدامـة، تحقيـق : بـدر البـدر، الـدار السلفية، ط الأولى .
- ذيل ديوان الضعفاء والمتروكين : للذهبي، تحقيق : الشيخ حماد بن محمد الأنصاري رحمه الله، مكتبة النهضة، ط الأولى .
- الرد على الجهمية : للدارمي، تحقيق : بدر البدر، الدار السلفية، ط الأولى .
- الرد على الزنادقة والجهمية : للإمام أحمد بن حنبل، المطبعة السلفية، ط الأولى .
- الرسالة الحموية : لابن تيمية، المطبعة السلفية، ط الرابعة .
- الرياض الناضرة والحدائق النيرة الزاهرة في العقائد والفنون المتنوعة الفاخرة : لعبدالرحمن بن ناصر السعدي، المؤسسة العيدية .
- سلسلـة الأحـاديـث الصحيحـة : لـلألبـانـي، المكتـب الإسلامي، ط الثالثة .
- سير أعلام النبلاء : للذهبي مؤسسة الرسالة، ط الثانية .
- شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة : لأبي القاسم اللالكائي، تحقيق : د. أحمد سعد حمدان، دار طيبة، ط الأولى .

● شرح ابن عقيل للألفية : تحقيق : محمد محي الدين عبدالحميد .
● شرح حديث النزول : لابن تيمية، تحقيق : د. محمد بن عبدالرحمن الخميس، دار العاصمة، ط الأولى .
● شرح السنة : للبربهاري، تحقيق : د. محمد بن سعيد القحطاني، دار ابن القيم، ط الأولى .
● شرح العقيدة الطحاوية : لابن أبي العز، تحقيق : د. عبدالله التركي وشعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، ط الثانية .
● شرح الفقه الأكبر : لملا علي القاري، نشر قديمي كتب خانة .
● شرح الكوكب المنير المسمى بمختصر التحرير : تحقيق : محمد حامد الفقي، مطبعة السنة المحمدية، ط الأولى .
● الشريعة : للآجري، تحقيق : د. عبدالله الدميجي، دار الوطن، ط الأولى .
● صحيح مسلم : تحقيق : محمد فؤاد عبدالباقي، دار إحياء التراث العربي .
● الصفات : للدارقطني، تحقيق : الدكتور علي بن ناصر فقيهي .
● الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة : لابن القيم،

تحقيق : د. علي بن محمد الدخيل الله، دار العاصمة، ط الأولى .

- الضعفاء والمتروكين : لابن الجوزي، تحقيق : أبي الفداء عبدالله القاضي، دار الكتب العلمية، ط الأولى .
- ضوء الساري إلى معرفة رؤية الباري : لأبي شامة الشافعي، تحقيق : د. أحمد بن عبدالرحمن الشريف، دار الصحوة، ط الأولى .
- الطرق الحكمية في السياسة الشرعية : لابن القيم، تحقيق : محمد حامد الفقي، مطبعة السنة المحمدية .
- طريق الوصول إلى العلم المأمول بمعرفة القواعد والضوابط والأصول : لعبدالرحمن بن ناصر السعدي، المؤسسة العيدية .
- عقيدة السلف أصحاب الحديث : للصابوني، تحقيق : بدر بن عبدالله البدر، مكتبة الغرباء، ط الثانية .
- العقيدة النظامية : للجويني، تحقيق : أحمد حجازي، دار الشباب، ط الأولى .
- العلو للعليِّ الغفار في صحيح الأخبار وسقيمها : للذهبي، تصحيح : عبدالرحمن محمد عثمان، المكتبة السلفية، ط الثانية .
- فائدة جليلة في قواعد الأسماء الحسنى مستل من كتاب

بدائع الفوائد : لابن القيم، تحقيق : عبدالرزاق البدر، دار الإمام مالك، ط الأولى .

- فتح الباري شرح صحيح البخاري : لابن حجر، دار المعرفة .
- فهرست ابن خير : لابن خير الإشبيلي، دار الآفاق الجديدة بيروت .
- القاموس المحيط : للفيروزآبادي، مؤسسة الرسالة، ط الثانية .
- القول السديد في الرد على من أنكر تقسيم التوحيد : لعبدالرزاق البدر، دار ابن عفان .
- الكشاف : للزمخشري، دار المعرفة .
- الكواكب الدرية لشرح الدرة المضية في عقد أهل الفرقة المرضية : للشيخ محمد بن عبدالعزيز بن مانع، مطبعة المدني، ط الثانية .
- لسان الميزان : لابن حجر، دار الكتاب الإسلامي، ط الثانية .
- لوائح الأنوار السنية ولواقح الأفكار السُّنية شرح قصيدة ابن أبي داود الحائية : للسفاريني، تحقيق : د. عبدالله بن محمد بن سليمان البصيري، مكتبة الرشد، ط الأولى .
- لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدرة

المضية في عقد الفرقة المرضية : للسفاريني، مطبعة المدني .

- مجموع الفتاوى : لابن تيمية، جمع وترتيب : عبدالرحمن بن محمد بن قاسم، المكتب التعليمي السعودي بالمغرب .
- مختصر الصواعق المرسلة : لابن القيم، اختصار : محمد بن الموصلي، دار الندوة الجديدة، ١٤٠٥ هـ .
- مختصر العلو للعلي الغفار : للذهبي، للشيخ محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، ط الأولى .
- مدارج السالكين : لابن القيم، تحقيق : محمد حامد الفقي، دار الكتاب العربي بيروت .
- المسند للإمام أحمد : المكتب الإسلامي، ط الخامسة .
- مسند الإمام الشافعي : دار الكتب العلمية، ط الأولى .
- المصنف : لأبي بكر بن أبي شيبة، تحقيق : عبدالخالق الأفغاني، الدار السلفية، الهند ١٣٩٩ هـ .
- المصنف : للإمام أبي بكر عبدالرزاق بن همام، تحقيق : حبيب الرحمن الأعظمي، المكتب الإسلامي بيروت، ط الثانية .
- معالم السنن : لأبي سليمان الخطابي، تحقيق : محمد حامد الفقي، مكتبة السنة المحمدية .

● المغني في الضعفاء : للذهبي، إدارة إحياء التراث الإسلامي بقطر .
● مفتاح دار السعادة : لابن القيم، دار الكتب العلمية، بيروت .
● منهج ودراسات لآيات الأسماء والصفات : للشيخ محمد الأمين الشنقيطي، الجامعة الإسلامية، ١٤٠١ هـ .
● النصيحة : للجويني .
● نقض تأسيس الجهمية : لابن تيمية، تصحيح : محمد بن عبدالرحمن بن قاسم، مطبعة الحكومة، ط الأولى .



الفهـرس